الفصل الأول

الشهادة والشهيد في شعر صدر الإسلام

المبحث الأول : بواعث الشهادة

المبحث الثاني :صفات الشهيد

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

بواعث الشهادة

لقد تبين لنا مما تقدم عظيم منزلة الشهادة في سبيل الله تعالى التي بينها المولى ﷻ في كتابه العظيم من خلال الآيات الكريمة الكثيرة التي فصلت هذه المنزلة وعظيم أجرها عند الله تعالى ، كما زادت أحاديث المصطفى ﷺ من عظيم هذه المنزلة ورغبت المجاهدين في الظفر بها ، وهذه المنزلة السامية والدرجة الرفيعة لن يصل إليهما المسلم إلا عندما يبذل روحه سخياً في سبيل الدفاع عن العقيدة التي آمن بأن التزامها سوف يوصله إلى الفوز برضوان الله تعالى [1]، وهذا المبحث هو مخصص لبيان البواعث التي حملت المسلمين على حبهم للشهادة والسعي للفوز بها ، وسوف يتبين لنا ذلك من خلال الأشعار التي قالها المجاهدون أنفسهم أو التي قيلت في حقهم على أن الأشعار التي قالوها كانت أكثر بكثير من تلك التي قيلت فيهم ، كما أنَّ البحث يُوضح مسألة مهمة هي أن ليس جميع الذين خرجوا حبا للشهادة والحرص عليها قد فازوا بها لانَّ قسماً قليلا منهم لم يَفُز أصحابها ، أما القسم الأكبر منهم فقد نال شرفها وإنما ذكر البحث النماذج التي لم يَفُز بها بالشهادة لان هذا المبحث يختص بدراسة الشهادة والبواعث التي حملت الرجال على السعي في طلبها والفوز بها ، فمرتبة الشهادة مرتبة عظيمة وحبها والحرص عليها والتغني بها من حق كل مسلم ، فكان هذا كله دافعا لكي يحرص البحث على ذكر النماذج التي تُبَيّن هذا الحرص وهذا الحب سواء فاز بها مُحيُّها أم لا ، والأشعار القادمة سوف تبين ذلك اكثر .

(١) يُنظر: كيف السبيل إلى الله ، الجهاد والإستشهاد في الإسلام: ١٦/٦٠ .

١. رسوخ العقيدة الإسلامية:

شهدت البشرية مُنذ القدم حروباً طاحنة مستمرة بين دولة وأخرى ، وشعب وآخر ، وجماعة واخرىٰ ، وكانت أغلب هذه الحروب طمعاً في أرض . ورغبة في توسيع النفوذ والسيطرة على الآخرين [١]. فالعرب مثلا قبل الإسلام كانت بينهم أيام كثيرة جداً ، فبعضها كان استجابة للعصبية القبلية والحمية الجاهلية ، أو طلباً للثأر ، أو تنازعاً في طلب مساقط الغيث وموارد الرزق ، أو الإعتداء والظلم [٢]. أو كانت بسبب فرس كالذي حدث في حرب داحس والغبراء [٣]، أو بسبب ناقة مثل ما حدث في حرب البسوس[٤]، أو كانت المرأة سببا لإشعالها [٥].

فكما نرى فإنَّ أسباب القتال ودوافعه متعددة ومُتشعبة لا يحكمها نظام والسبب في ذلك ، (أنَّهُ ما كانت لهم عقيدة لها شريعة أو نظام يشدُّ أفرادهم ويجمع قلوبهم ويحكم أُسرهم وأفخاذهم وقبائلهم ، بل كانوا في غالبيتهم وثنيين تحكمهم العادات والتقاليد والأعراف)[٦]، وما زال الأمر على حاله هذه حتى أشرقت الأرض بنور الإسلام ، إذ بعث الله تعالى رسوله الكريم محمداً ﷺ وهيَّأ له صحابته الكرام لنشر رسالة الإسلام ، الذي (أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان وهداية الحق ، ورسم لهم طريق الفضيلة والخير وجعل المؤمنين اخوة متحابين لا تفسد نفوسهم الضغينة والحقد ، ولا تطمس بصيرتهم عوامل الصراع والكراهية والإثرة ، وأبدل حياة العرب الاجتماعية فأبطل الشرك والوثنية ونادى بالتوحيد ، وأبطل أكثر المعتقدات والعادات التي كانت شائعة في الجاهلية كالاعتقاد بالكهان والعرافين ، وحرم الخمر والميسر والاستقسام بالأزلام

---

(١) يُنظر: الشهيد في الإسلام: ٣١ .

(٢) يُنظر: أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي: ٥٢ ، د. مدر اجبوري .

(٣) يُنظر: أمثال العرب: ٨١ – ١٠٩ للمفضل الضبي ، ونقائض جرير والفرزدق: ٨٣/١ – ١١٣ ، والعقد الفريد: ٩٣/٥ – ٩٥ لابن عبد ربه الأندلسي ، والأغاني: ١٩١/١٧ – ١٩٧ لأبي فرج الأصفهاني ، وأمالي المرتضى: ق٢٠٨/١ – ٢١١ ، والشعر في حرب داحس والغبراء: ٩١ د. عادل جاسم البياتي .

(٤) يُنظر: العقد الفريد: ٧١/٣ .

(٥) يُنظر: المرأة في الشعر الجاهلي: ٦٧ د. علي الهاشمي .

(٦) الشهيد في الإسلام: ٣٣ .

والمعاملة بالربا ، ووأد البنات خوف العار أو الفقر ، والأخذ بالثأر ، وحرمان المرأة من الميراث ، وفي كل ذلك كان الإسلام يرمي إلى إسعاد الفرد والأسرة في نطاق المجتمع المحلي) [1]، لكنَّ هذه الدعوة وهذه الرسالة لم تخدم مشركي قريش الذين رأوا في هذه الدعوة زوال نفوذهم وبُطلان آلهتهم ، فأصروا على اعتقادهم وجحدوا الإسلام وأنكروه وكذبوا الرسول ﷺ وآذوه وأصحابه الكرام ، وأعلنوا الحرب عليهم ، لكنهم ما علموا أنهم يُحاربون رجالا أنشأهم الإسلام نشأة جديدة أحالتهم خلقاً آخراً ، حينما اقتحم الإيمان مناطق اعتقادهم وألقى فيها بذور التوحيد والاخوة والتوحد ، فتحررت بذلك نفوسهم من قيود الوهم وتطهرت قلوبهم من رجس الوثنية ، فشعر كل واحد منهم بأنه لا حجاب بينه وبين الله ما دام يسعى لطاعته ويبتغي مرضاته [2]، فلم تثنهم حرب قريش وأذاها لهم عن دعوتهم إلى الدين الجديد الذي ملأ عليهم حياتهم وجدَّد فيهم التضحية في سبيل الله تعالى [3]، فكان حبهم للشهادة يُنسيهم الألم والأذى الذي لاقوه من مشركي قريش، وحب الشهادة ليس كلاما يُقال بل لابُدَّ من برهان ، لابدَّ من عمل يُبرهن ويُثبت هذا الحب ، ولن يَثْبُتَ هذا الحب ما لم يستند إلى عقيدة راسخة ، فهذا بلال بن رباح مؤذِّن الرسول ﷺ كان عبداً من عبيد قريش فدخل نور الإيمان قلبه ، فما كان من أمية بن خلف بن وهب إلاّ أنْ أخرجه إلى الصحراء في وقت الظهيرة ، فطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم أمر بصخرة عظيمة فوضعت على صدره ، فقال له: لا تزال هكذا حتى تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى أو تموت [4]، وحاشاه أنْ يرتد عن دينه وقد ترسخت عقيدة الإسلام في قلبه ، فعلم أنَّ الموت في سبيل الله تعالى يعني فوزه بالشهادة ، وهي (أسمى غاية يسعى إليها المسلم) [5]، فثبت على دينه وهو يُردد كلمات التوحيد ، فهذا

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي. ١١ ، د. محمد عبد القادر احمد .

(٢) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: ٣٢ ، النعمان عبد المتعال القاضي .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري: ٩ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٤) يُنظر: السيرة النبوية: ١/ ٣٤٠ .

(٥) الأدب في عصر النبوة والراشدين: ٢٦١ ، د. صلاح الدين الهادي .

عمار بن ياسر يُترجم لنا تلك الحالة – حالة الاختيار – التي كان عليها بلال وأصحابه وهم يعذبون ، فقال [1]:

جَزَى اللهُ خيراً عن بلالٍ وَصَحبهِ عَتيقاً وأخزى فاكِهاً وأبا جَهْلِ
عَشيَّةَ هَمُّوا في بلالٍ بَسوءةٍ ولم يحذروا ما كان يحذر المرءُ ذو العَقْلِ
بتَوحيده رَبَّ الأنَامِ وقولهِ شهدتُ بأنَّ اللهَ ربي على مَهْلِ
فَإن تَقْتلوني فقتلوني ولم أكن لأشرك بالرَّحمنِ مِن خيفةِ القَتْلِ

إنَّ ثبات بلال هذا هو خير دليل ، وأصدق برهان على حبه للشهادة في سبيل الله تعالى ، وأمثال بلال كثير من الصحابة الكرام الذين استبد بهم شوق الشهادة ، فمضوا يتحينون الفرص لكي يُترجموا هذا الحب وهذا الشوق إلى عمل ملموس .

فهذا مجاهد من المسلمين يؤكد حبه وحرصه على الشهادة بشكل أذهل فيه قاتله ، فقد طَعَنَ جبار بن سلمى [2] وهو ممن حضر يوم بئر معونة [3] رجلاً [4] من أصحاب النبيﷺ في ذلك اليوم ، حتى خرج الرمح من بين كتفيه ، فنظر إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعه يقول: فُزت والله: فقال جبار في نفسه: بما فاز ! ألستُ قتلته !

---

(١) السير والمغازي: ١٩٠ محمد بن إسحاق المطلبي تحقيق د. سهيل زكار .

(٢) هو جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب الكلابي ، أسلم بعد يوم بئر معونة .
يُنظر: الإستيعاب: ١/٢٢٩ – ٢٣٠ ، ويُنظر: الإصابة: ١/ ٢٢٩ .

(٣) كان ذلك اليوم في صفر سنة أربع للهجرة ، إذ قدم على رسول الله ﷺ ، وطلب منه أن يرسل معهم وفدا من أصحابه يُعلمون قومهم الإسلام ويدعونهم إليه ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين رجلا من الصحابة الكرام ، منهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء بن الصلت السُلمي ، ونافع بن بديل بن ورقاء ، وعامر بن فهيرة ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، عندها استصرخوا عليهم قبائل من بني سليم ورعُل وذكوان ، فخرجوا حتى غشوا الصحابة الكرام ، واحاطوا بهم فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم " رحمهم الله "، يُنظر: المغازي. ١/٣٤٦ للواقدي ، والسيرة النبوية : ٣/١٩٣ – ١٩٤ ، وطبقات ابن سعد: ٢/٥١ – ٥٤ ، وتاريخ خليفة بن خياط: ١/٣٨ – ٣٩ ، وتاريخ الأمم والملوك: ٣/٣٣ – ٣٦ للطبري، ويُنظر: تاريخ الإسلام (المغازي): ٢٣٥ – ٢٤١ للإمام الذهبي ، والبداية والنهاية ٣ ٧١ – ٧٤ للحافظ ابن كثير ، وأيام العرب في الإسلام: ٥٦ – ٥٨ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي

(٤) هو أبو ملحان الأنصاري . يُنظر: تفسير ابن كثير: ١/٤٢٦ .

يقول: حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا: فاز بالشهادة ، فاسلم جبار وقال: فاز لعمر الله [1].

إنَّ في استشهاد هؤلاء الوفد حقيقة ثابتة ومهمة ، وهي أنَّ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ جزء مهم من أركان عقيدة المسلم ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [2]. ولا تكتمل هذه العقيدة حتى يكون الله ورسوله الكريم أحبَّ إليهم من كل شيء ، وهذا الحب هو الذي يجعلهم يقدمون إلى كل عمل ينالون به طاعتهما ويقربهم إلى الجنة ، لذلك نراهم عندما يأمر الله تعالى بأمر يتسابقون إلى تلبية هذا النداء دون تردد ، لانَّ لهم فيه الخير الكثير ، فها هو عبد الله بن رواحة أحد قادة مؤتة [3]الثلاثة الذين سيرهم الرسول ﷺ إلى قتال الروم ، فلمَّا ودَّع الناس أمراء الرسول الكريم ، بكى ابن رواحة ، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صبابة إليها ولكني سمعت رسول اللهﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾ [4]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورد ، فقال المسلمون: صَحِبَكُمْ الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فأمَّن الناس إلَّا ابن رواحة [5]! لماذا ؟ لأنه يريد ذروة الإيمان والوفاء ، يريد الشهادة [6] .

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/١٩٦ ، وتاريخ الطبري: ٣/٣٥ ، والإستيعاب: ١/٢٣٠ .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦ .

(٣) حدثت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة ، وسبب هذه الغزوة أن الرسول الكريم ﷺ بعث الحارث بن عمير الازدي إلى ملك بُصرى وهي من أعمال دمشق بكتابه ، فلمَّا نزل مؤتة وهي قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، عرض للحارث شرحبيل ابن عمرو الغساني ، فقال: أين تُريد ؟ فقال: الشام ، قال لعلك من رُسل محمد ؟ قال نعم ، فأمر به فضربت عنقه ، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره . يُنظر: السيرة النبوية: ٤/١٥ ، وتاريخ الطبري: ٣/١٠٧ – ١١٠ ، والتنبيه والأشراف: ٢٣٠ علي ابن الحسن المسعودي ، وتاريخ تهذيب دمشق الكبير: ١/٩٢ – ١٠٢ لابن عساكر ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٤٧٩ – ٤٩٩ ، وأيام العرب في الإسلام: ٩٢ – ٩٥ .

(٤) سورة مريم: الآية ٧١ .

(٥) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/١٥ .

(٦) يُنظر: الشهادة والشهيد في الإسلام وفي قادسية العرب الثانية: ١٠ ، صبحي الحديثي .

فقال [1]:

لَكنَّنِـــي أسألُ الرَّحمـــنَ مَغفـــرَةً وضربةً ذات فَرغٍ تَقْذِفُ الزَّبَـــدَا
أو طَعنةً بِيَدَي حَرَّانَ مُجهِـــزَةً بحربـــةٍ تنفِذُ الأَحشاءَ والكَبِـــدَا

فما السبب الذي حمل ابن رواحة على اختيار الشهادة ؟ ومعروف عـــن عبـــد الله إيمانه وتقواه فهو ممن شهد العقبة الثانية ، وأحد الاثني عشر نقيباً الذين أختـــيروا بـــأمر رسول الله ﷺ ، والذين قال لهم: " أنتم على قومكم بما فيكم كفـــلاء ككفالـــة الحواريـــين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي " [2] . وهو مـــن أصحـــاب بـــدر ، فقـــال فـــي حقهم ﷺ: " اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرتُ لكم " [3].

لا شكّ بعد ما تقدم أنّ رسوخ عقيدة الإسلام في اعتقاد هذا القائد ، وإيمانه الصـــادق بعدالة الرسالة التي أُمروا بنشرها ، كان باعثاً قوياً لهذا القائد لكي يختار الشـــهادة علـــى العودة سالماً ، فدعا المولى ﷻ أن يرزقه الشهادة بضربةِ سيف عميقة واسعة من عـــدوٍ يبارزه ، فيتدفق بسببها الدم ، فينال بها الشهادة [4]، أو طعنة رمح مـــن (عـــدوٍ يكـــون حريصاً على دمه حرص العطشان على الماء) [5]، فتُخرج هذه الطعنة ما في بطنه مـــن كبد وطحال وكرش وما تبعه ، ولم يكن ببال الشاعر المجاهد أنْ يكون بعيداً عن عـــدوه ، ولكن حرصه على الشهادة وتحريه لها دفعه إلى هذا الاحتمال [6].

بل إنّ حرصه هذا كان عاملاً حاسماً لاختلاف المسلمين عندما علِموا بكثرة عـــدد عدوهم ، فقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فإمّا أنْ يُمدنـــا بالرجـــال ، وإمّا أنْ يأمر بأمره فنمضي له ، وفي أثناء هذا الاضطراب في أمر المسلمين ، جاء أثـــر مُحبِّ الشّهادة ، فشجَّعَ الناس وقال: يا قوم والله إنّ التي تكرهون للتي خرجتـــم تطلبـــون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نُقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنـــا

(١) ديوانه: ٨٨ ، تحقيق د. حسن محمد باجوده .
(٢) السيرة النبوية: ٨٨/٢ .
(٣) صحيح البخاري: ١٤٦٣/٤ .
(٤) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٥٩ – ٦٠ .
(٥) حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة: ٣١١/١ هرسك ، موستارلي حاي .
(٦) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة : ٦٠ .

الله به ، فانطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحسنين ، إمَّا ظهورٌ وإمَّا شهادة ، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة [١]. وأثر عبد الله هذا الذي حسم به الموقف يُذكرنا بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [٢]. (لقد أمدَّهم الإسلام بقوة روحية جبَّارة ، وبث في نفوسهم من صلابة الإيمان ما يبعث على الذهول والحيرة ، فانسابوا في جوانب الأرض فاتحين) [٣]، تدفعهم الرغبة في سبيل الله ، ويحدوهم الإيمان لنشر هذا الدين ، فذللوا المصاعب ، واستهانوا بالموت واستعذبوا طعم الشهادة [٤]، التي وجدوا فيها طعما لم يألفوه [٥] . فهذه الفئة المجاهدة في سبيل الله حينما شرعت الأسنة طلقت تلك المعيشة التي كانت راضية بها ، واستبدلتها بأخرى تقوم على بذل الروح سخية في سبيل الله تعالى [٦]، فواصل الجيش طريقه نحو مؤتة وحلم الشهادة ما يزال يُراود ابن رواحة ، فهذا زيد بن أرقم يروي لنا ما سمعه من عبد الله وقد كان رفيقه في ذلك المسير ، قال عبد الله [٧] :

إذا أَدَّيتني وَحَمَلْتِ رَحلي ... مسيرةَ أربعٍ بَعْدَ الحِساءِ

فَشأنُك أَنْعُمٌ وَخَلاكِ ذمٌّ ... ولا أَرْجِعُ إلى أَهْلي وَرائي

فهو يطلب الشهادة حباً في لقاء الله ، ويُناشد راحلته أن تُسهم في تحقيق هذا الاستشهاد ، وذلك بِأَنْ تُوصله إلى ساحة المعركة حيث ينالُ مُناه ، فإن فعلت فهي حُرَّة

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/١٥ – ١٧ ، وطبقات ابن سعد: ٢/١٢٨ – ١٣٠ ، وتاريخ خليفة: ١/٤٩ – ٥٠ ، وتاريخ الطبري: ٣/١٠٧ – ١٠٨ ، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ٢/١٩٨ – ٢٠٢ لابن سيد الناس ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٤٨١ ، والبداية والنهاية: ٤/٢٤١ – ٢٤٥ ، وأيام العرب في الإسلام: ٩٢ – ٩٤ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٣ .

(٣) الشعر والفتوح الإسلامية: ٩ ، (بحث) د. نوري حمودي القيسي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ربيع الأول ، ١٣٨٨ حزيران ١٩٦٨ .

(٤) يُنظر: الشعر والفتوح الإسلامية: ٩ .

(٥) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤٠ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٦) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٦٨ – ٦٩ .

(٧) ديوانه: ٧٩ .

بعد ذلك [1]، بل وصل (به أمل الاستشهاد في سبيل الله إلى وقوعه فتركه المسلمون بأرض الشام ينعم برضا الله وجواره) [2] ، فقال [3]:

وَجَاءَ المسلمونَ وَغَادَرُوني ... بِأَرْضِ الشامِ مُشتَهِي الثواءِ
ورَدكَ كُلَّ ذي نَسَبٍ قريبٍ ... إِلى الرَّحمنِ مُنقطَعِ الإِخاءِ
هُنَالِكَ لَا أُبالِي طَلْعَ بَعلٍ ... ولا نَخْلٍ أَسَافلها رَوَاءِ

إنَّ أمل الشهادة سما به حتى (استحال إلى واقع في نفسه فأضحى ميتا حيّاً ، وحياً ميتاً فتشابه الموت والحياة في تصوره ، وتخيل المسلمين وقد تركوه مُسَجَّى في قبره حيث تنقطع صلة الإنسان إلاَّ بالله ، ... ينتظر ثواب الله ونعيمه وليكون ذكراً للمؤمنين الصادقين يذكرونه بهذا الإيمان)[4]، فقال [5]:

حَتَّى يُقال إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِن غَازٍ وَقَد رَشَدَا

فحان اللقاء وتقابل الجيشان ، فتقدم قائد المسلمين زيد بن حارثة حاملا راية الإيمان فقاتل بقوة العقيدة حتى استشهد ، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ، فتقدم الصفوف يقاتل الأعداء حتى مال شهيداً [6] ، وهنا يأتي أثر الذي طالما مَنّى نفسه بالشهادة، فأخذها عبد الله وهو حريص على هذه الفرصة ، فتقدم الصفوف يقاتل الأعداء وما زال كذلك حتى رزقه الله الشهادة وقرَّ عينه بها ، ولم يكن الشعر غائباً عن هؤلاء الشهداء ، بل كان دائماً في حضور مستمر ، فهو في مثل (هذه المواقف لا يترك الرجال مجردين ، ولا يتحدث عنهم معزولين بعد أنْ دخل عنصر العقيدة بشكل مجسد وتوضحت تأثيراته بصورة عميقة وقد إمتنَّت جذوره فامتلكت زمام المبادرات) [7] ، فهذا شاعر الرسول والمسلمين يصور لنا حرص عبد الله على الشهادة بصدر رحب في حين ضاقت

---

(١) يُنظر: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ : ٤١٠ د. عبد الرحمن خليل إبراهيم .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ديوانه: ٨٠ .

(٤) دور الشعر في معركة الدعوة أيام الرسول: ٤١١ .

(٥) ديوانه: ٨٨ .

(٦) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/٢٠ .

(٧) شعر الحرب حتى ق١هـ/١١٩ .

بها صدور غيره ، فما أنْ استشهد صاحباه حتى تقدم وهي فرصته التي طالما يتمناهـــا ، فأخذ الراية وقاتل حتى لحق بهما ، فقال حسان [1]:

وَإِنْ ضَاقَ بـــالمَوْتِ صَـــدْرُ امْـــرئٍ فَصَـــدْرُكَ بـــالمَوْتِ لم يَحْـــرَجِ
مَضَـــى صَاحِبَـــاكَ وَقَـــدْ ضُرِّجَـــا شَـــهِيدَينِ بـــالعَلَقِ الأَضْـــرَجِ
وَكَـــانَ لِبَـــاتُكَ عَـــنْ صَـــاحِبَيْكَ كَمُلجِـــمِ طَـــرْفٍ ولم يُسْـــرَجِ

إنَّ في (معاني هؤلاء الشهداء تتجلى لنا العقيدة التي دفعت الرجال المؤمنين إلـــى مجالـــدة الفرس وقتال المشركين من المجوس ، وهم يجودون بالنفوس ، بقدرة لا تقـــاوم ، ومقاومة لا تقهر ، وإحساس عميـــق يؤكد حقيقة التمسك) [2] بهذه العقيدة ، التي رســـخها الدين الجديد ، الذي ملأ على العرب حياتهم وحملهم على البذل والتضحية والفـــداء فـــي سبيل نشر دينهم الجديد الذي ارتضاه الله لهم [3]. وهذا يعني أنَّ (الشهادة والعقيدة توأمـــان جمع الله بينهما ، ومن لا عقيدة له ولا إيمان يكون جباناً يخشى الموت يجرُّ وراءه ذيـــول الخيبة والخزي والعار) [4]، فهذا فروة بن عامر الجذامي كان عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام [5]، أسلم فذاق حلاوة الإيمان ، وعرف قيمة المبادئ التي جاء بها الإسلام [6] ، (فبلغ الروم إسلامه فطلبوه وحبسوه)[7]، لكنه لم يخضع لتهديداتهم له ، فعند ما قُدِّم للصلب لم يفزع منـــه ، لأنـــه مؤمـــن بعقيـــدة الإسلام التي استقرت في داخله ، هذه العقيدة التي دفعته إلى أن يحرص على الموت اكثر

(١) ديوانه: ٤١٢ تحقيق د. وليد عرفات .
(٢) شعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٨ .
(٣) يُنظر: الأدب في عصر النبوة والراشدين: ٣٠٠ .
(٤) الشعر في رمن الحرب: ١٥٣ ، د. احمد مطلوب .
(٥) يُنظر: السيرة النبوية. ٢٣٧/٤ ، والروض الأنف: ٤٠٦/٧ ، والإصابة: ٢١٧/٥ .
(٦) يُنظر: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣هـ / ١٧٨ ، د. أيهم عباس القيسي .
(٧) السيرة النبوية: ٢٣٧/٤ ، الروض الأنف: ٤١٦/٧ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣٥٧/٤ لعز الدين أبي الحسن علي الجزري ، الإصابة: ٢١٧/٥ .

من حرصه على الحياة ، واندفاعه إلى الاستشهاد أكثر من تراجعه حُبّاً في الدنيا [1] ، فقال [2]:

بَلِّغ سَراةَ المسلمين بأنني ... سَلْم لربّي أعظُمي وَمَقامِي

إنّ رسوخ العقيدة في اعتقاد المسلمين، وسلامة المبادئ التي جاء بها والتزم بها المسلمون، كانت عاملاً حاسماً في ثبات المسلمين بعد وفاة المصطفىﷺ، فهذا عُمير بن ضابي اليشكري، كان سيداً من سادات أهل اليمامة، ولمّا ارتدوا ثبت هو على دينه، وعنّف قومه على ردتهم[3]، وأعلن لهم أنّ دينه هو دين الإسلام الذي جاء به المصطفىﷺ، وليس هو وحده على هذا الدين ، بل إنّ من قومه من ثبت عليه، لذلك هو لا يخشى أنْ تكون منته على هذا الدين،لأنه إنْ قُتِل عليه فهو شهيد في سبيل الله تعالى، فقال [4]:

إنّ دِيني دِينُ النَّبي وَفي القَو ... م رِجَالٌ عَلَى الهُدَى أَمْثَالِي

إن تَكُنْ مِيتَتِي عَلَى فِطرَةِ الله ... حَنِيفاً فَيا نِيَ لا أُبالِي

إنّ ما تقدم ذكره من نماذج الفداء والتضحية يعكس لنا مفهوم الوفاء الذي ظلت الأمة الإسلامية حريصة عليه ، وتتعامل بموجبه مع كل الأحداث ، وتستهين بكل التضحيات [5]، التي لولاها ما قامت للإسلام دولة ، ولا عُرفت لها راية ، ومتى ما تموت روح الشهادة يُذل المسلمون ، وما تموت إلاّ حين تضعف روح العقيدة الإسلامية [6].

---

(١) يُنظر: شعر العقيدة: ١٧٨ – ١٧٩ .

(٢) السيرة النبوية: ٢٣٨/٤ ، ويُنظر: الروض الأنف: ٤١٧/٧ ، وأسد الغابة: ٣٥٧/٤ ، والإصابة: ٢١٧/٥.

(٣) يُنظر: الإصابة: ١٢٣/٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١ هـ /٨٨ .

(٦) يُنظر: الجهاد في سبيل الله : ٥٠ (مقالة) للدكتور رشيد حماد التكريتي ، مجلة التربية الإسلامية ، العدد السابع ، السنة الخامسة والثلاثون ، ذو الحجة /١٤٢٢هـ – شباط ٢٠٠٢ .

وقد استطاع الشعر أن يوضح لنا أثر العقيدة التي (حملت المقاتلين على خوض غمار هذه البادية التي يضيع بها الدليل ، ويضيع بها العارف ، وتمتحن الإرادة) [1]، وما هذا كله إلاّ حُباً في الشهادة ، والفوز بأجرها عند الله تعالى .

٢. تحريض قادة جيوش المسلمين

كان لقادة المسلمين أثر كبير وحاسم في إقدام المجاهدين نحو الأعداء وقتالهم والفوز بالشهادة وثمرتها الجنة ، فكان النبي محمد ﷺ من أكثر هؤلاء القادة حرصاً على تحريض المجاهدين على الإقدام ومقاتلة الأعداء ونيل الشهادة ، لأنه ﷺ أعلم الناس بهذه المنزلة العظيمة وأجرها عند الله تعالى ، لما أراه وأخبره المولى ﷻ عن هذه الدرجة الرفيعة ، ففي كل معركة يخوضها المجاهدون المسلمون كان هو قائدهم الأعلى يتفقد الصفوف فينظمها ويرصها وكأنها صفوف صلاة ، وذلك لان المولى ﷻ يحب هذه الصفوف فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[2]،

وقبل اشتداد المعركة وفي لحظاتها الحاسمة كان "عليه الصلاة والسلام" يذكر المجاهدين بأجر الشهادة ، حتى تكون حافزاً لهم على نيلها والفوز بمقامها العظيم عند المولى العظيم، فكان ذلك في أوّل فاصلة التقى فيها جيش الإيمان يقوده المصطفى ﷺ وجيش الكافرين ، ومما زاد في رغبة المجاهدين فيما يطمحون إليه في هذه المعركة هو سقوط شهيدين من المسلمين وهما مهجع[3] ، وحارثة[4] ، إذ أصيبا بسهام المشركين فكانا أول شهيدين من المسلمين في ساحة المعركة ، التي دارت رحاها وتبارز فرسانها ، وتساقط القتلى والشهداء ، وفي هذه المعركة اثبت الصحابة الكرام صدقهم في قتال الأعداء ، يوم أن استجابوا لنداء الرسول الكريم ﷺ وهو يحرضهم على الاستشهاد في

---

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١ هـ / ١٦٨ .

(٢) سورة الصف: الآية . ٤ .

(٣) هو : مهجع بن صالح مولى عمر بن الخطاب ﷺ شهد بدراً فكان أول قتيل من المسلمين يوم الصمين أتاه سهم فقتله . يُنظر الإستيعاب ٤/١١٨٦ ، والإصابة ٦/١٤٦ .

(٤) هو: حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن عامر ..، شهد بدراً وقتل يومئذ شهيداً قتله حبان بن العرقة بسهم أصاب حنجرته، فكان أول شهيد من الأنصار يُنظر: الإستيعاب ١/٣٠٧ –٣٠٨، والإصابة:١/٣١١ .

سبيل الله ، فما بدّلوا ولا ترددوا حتى نالوا الشهادة جماعة مباركة ، فهم يعلمون أن مصيرهم الموت فليكن ذلك في سبيل الله ، كما إنهم يرجون شفاعة المصطفى ﷺ يوم القيامة ، يوم يتسابق الناس في طلب شفاعة الأنبياء ، فهذا حسان بن ثابت يجسد لنا ذلك كله فقال[1] ،

دَعَا فأَجَابُوهُ بِحقٍ وكُلُّهُمْ ... مُطِيعُ لَهُ في كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَما بَدَّلُوا حَتَّى تَوافَوا جَماعَةً ... وَلاَ يَقْطَعُ الاجَالَ إلاَّ المَصَارِعُ
لأنَّهمُ يرْجُونَ منهُ شَفَاعةً ... إذَا لَمْ يَكُنْ إلاَّ النَّبيينَ شَافِعُ
وَذَلِكَ يَا خَيْرَ العِبَادِ بَلاؤُنَا ... وَمَشْهَدُنَا في الله وَالمَوْتُ نَاقِعُ

بأمثال هؤلاء الرجال نصر الله تعالى الإسلام والمسلمين ، وأذل الكفر والكافرين ، وأعلى راية الحق والدين المبين وهذا الإنجاز ما كان ليتحقق من دون مقابل بل كان الثمن تضحيات ودماء طاهرة زكية قد عطرت الأرض التي سالت عليها إنها دماء الشهداء الأبرار الذين على جثثهم (ينتهض بناء الأمة ويسمق حتى يطال السحاب شموخاً وعزة وإباء) [2] ، فدم الشهيد هو وقود حياة الأمة ، وهو الطاقة الخفية التي تشق للامة الخلود والمجد ، وتظلها بسحائب الرحمة والخير والطمأنينة والرخاء[3] ، وبانتصارهم على أعدائهم تتجلى وحدتهم وتضامنهم وحبهم للشهادة في سبيل الله ، وإليهم اطمأن رسول الله ﷺ لما رأى من قوة عزيمتهم وصدق إيمانهم واجتماع كلمتهم وصفهم لمواجهة المشركين[4] ، الذين تجمعوا مرة أخرى للأخذ بثار قتلاهم من المسلمين الذين استعدوا لهذا اللقاء بإيمان صادق وعزيمة قوية على النصر أو الشهادة فخرج رسول الله ﷺ يحرض المسلمين على نيل الشهادة فيقول : " لئن اقتل في سبيل الله أحب إلي من أنْ يكون لي أهل الوبر والمدر " [5] ، ولم يكن الشعراء بمنأى من هذه المعارك بل كانوا يتقدمون صفوف المقاتلين وهم يشيدون بمعاني الفداء والتضحية ، ويحرصون على تثبيتها في

(١) ديوانه: ٢٦٧ .
(٢) الشهيد في الإسلام: ١٣٩ ، كيف السبيل إلى الله الجهاد والاستشهاد في الإسلام : ١٠٦/١٦ .
(٣) المصدر نفسه : ١٤٠ ، والمصدر نفسه .
(٤) يُنظر: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية: ٢٩٥ ، د. رشيد الخيلي .
(٥) سنن النسائي: ٢٢/٣ .

المقاتلين وهم يشيدون بمعاني الفداء والتضحية ، ويحرصون على تثبيتها في أسماع المجاهدين ، لكي تكون لهم حافزاً على التقدم لنيل الشهادة [١] ، فهذا كعب بن مالك شاعر مجاهد قد نذر نفسه في سبيل الله تعالى ، يصور لنا أثر المصطفى ﷺ في تحريض المجاهدين على بذل النفس في سبيله تعالى والفوز بالشهادة [٢] ، فقال [٣] :

وَقَالَ رَسولُ اللهِ لَمَّا بَدَوا لَنَا ذَرُوا عَنْكمْ هَوْلَ المَنِيَاتِ وأَطمَعُوا
وَكُونوا كَمَنْ يَشرِي الحَيَاةَ تَقَرُّباً إلى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيهِ وَيُرْجَعُ [٤]

فاستجاب الصحابة الكرام لنداء الرسول الكريم ﷺ واندفعوا نحو أعدائهم وهم يجودون بأنفسهم في سبيله تعالى ، ويدعونه ﷻ أنْ يرزقهم الشهادة ، فهذا عبد الله بن جحش[٥]، مجاهد شجاع استبد به شوق الشهادة ، فقد شهد بدراً لكنه لم يرزق فيها الشهادة وفي أُحد دعا الله تعالى أنْ يرزقه إياها ، فقال: (اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله فيم جدع انفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت) [٦] ، فاستجاب الله دعاءه ورزقه الشهادة .

لقد أثبت صحابة رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه صدق طاعتهم له ، واستجابتهم لأوامره ، فمضوا يقاتلون الأعداء حتى دعاهم المولى ﷻ إلى جنة دوحة المولج ، فهذا كعب بن مالك قد جند نفسه داعيةمن دعاة الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبث أفكاره ومبادئه ، فرَّغب المسلمين في التطلع إلى نعيم

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١ هـ ١٤٤ ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٤٩ – ٥٠ د. سامي مكي العاني .
(٢) يُنظر: نظرات في شعر صدر الإسلام: ٥٠ .
(٣) ديوانه: ١٨٢ ، تحقيق د. سامي مكي العاني .
(٤) يشري : يبيع . يُنظر: اللسان: ٢٢٥٢/٤ (شرى) .
(٥) هو: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن حرة بن مرة بن كثير بن غنم قتل يوم أحد شهيداً فدفن هو وحمزة في قبر واحد يُنظر: الإستيعاب: ٨٧٧/٣ – ٨٨٠ ، والإصابة: ٤٦/٤ .
(٦) الإستيعاب: ٨٧٩/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٤٦/٤ ، وحياة الصحابة: ٥٢٥/١ يوسف الكاندهلوي .

الآخرة والفوز بما عند الله من جزيل الثواب والأجر المقيم في دار الخلد ، حاضاً على الاستشهاد وبذل النفوس رخيصة في سبيل الله [1] . فقال [2]:

وَقَتْلاهُمْ في جِنَانِ النَّعيم ... كِرَام المَدَاخل والمَخْرَج
بِما صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللواء ... لواء الرسول بذي الأَضْوَج
غَدَاةَ أَجابَتْ بأَسْيافِهَا ... جَمْيعاً بَنُو الاوسِ والخَزْرَج
وَأَشْيَاعُ احمدَ إِذْ شَايَعُوا ... عَلَى الحقّ ذي النور وَالمَنْهَج
فَمَا بَرِحُوا يَضرِبُون الكُمَاة ... وَيَمْضُونَ في القَسْطل المرُهَج
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُم مَلِيكُ ... إلى جَنَّةِ دَوْحَةِ المُوْلِجِ

فنحن نرى مشاركة الأنصار من الأوس والخزرج لإخوانهم المهاجرين في قتال الأعداء، فهم أيضا أي الأنصار قد شاركوا الرسول ﷺ قتاله لأعداء الإسلام ، وبذلوا الأرواح في سبيله تعالى، فهذا كعب بن زهير يؤكد لنا ذلك فقال فيهم [3]:

وَالبَاذِلِينَ نفوسهم لِنَبِيِّهِم ... يَومَ الهَيَاج وَقُبَّةِ الجَبَّارِ

وبعد وفاة المصطفى ﷺ واصل قادة المسلمين دورهم في تحريض المجاهدين على الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى ، ففي موقعة اليرموك [4] بات المسلمون ليلتهم في بكاء وتضرع وهم يسألون المولى ﷻ النصر على الأعداء إلى أنْ أصبح الصباح ، فصلى بهم الأمير أبو عبيدة ﷺ صلاة الفجر ، فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع إلى الخروج خالد بن الوليد ﷺ فأخذ يُحرض أصحابه على الإقدام بأشعار استنهض بها

(١) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٤٩ د. محمود حسن ربيع .

(٢) ديوانه: ١٥٧ – ١٥٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ٢٧ .

(٤) كانت للعرب على الروم سنة ١٣ هـ ، واليرموك واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن . يُنظر: تاريخ الطبري: ٣٢/٤ – ٤٧ ، والكامل في التاريخ: ٤١٠/٢ لابن الأثير ، ومعجم البلدان: ٤٩٩/٨ ، وأيام العرب في الإسلام: ٢٠٧ – ٢٢٢.

الهمم ، والهب بها مشاعر الحماس والاندفاع في نفوس المجاهدين لكي يواصلوا قتالهم لأعداء الإسلام [١]، فحبب إليهم الشهادة ولذة الفوز بها [٢]، فقال [٣]:

هبوا جَمِيْعَ إخْوتِي أرْوَاحا ... نَحو العَدو نَبْتَغِي الكِفَاحَا
نَرْجُو بذلكَ الفَوزَ والنَّجَاحَا ... إذَا بَذَلنا دُونَه أرْوَاحَا
وَيَرزُق اللهُ لَنَا صَلاحاً ... في نَصرِنا العُدُوَ والرَّوَاحَا

وهذا ضرار بن الأزور[٤] يقود أحد جيوش المسلمين في فتوح الشام فيتقدم بهم وينشدهم شعراً جهاديا رغّب فيه جنده على مواصلة القتال والدفاع عن حياض المسلمين ، والسعي في مرضاة رب العرش العظيم ، فمن كان يريد عتق نفسه من النار فما عليه إلاّ أنْ يتقدم ويُقاتل أعداءالإسلام ويفوز بالشهادة ، فقال [٥]:

ألا فاحْمِلُوا نَحْوَ اللِّئامِ الكَوَاذبِ ... لتروُوا سيوفاً مِن دِماءِ الكَتَائِبِ
ورُدُّوا عن الدينِ المُعَظَّمِ في الوَرَى ... وَارضَوا إله العَرْش رَبِّ المواهِبِ
فَمَنْ كانَ مِنْكُم يبتغي عتق رَبِّه ... من النَّار في يوم الجزا والمآربِ
فَيَحْمِلُ هذا اليومَ حَمْلَة ضَيغمٍ ... ويُرضي رَسُولاً في الورى غَيْرَ كَاذِبِ

لقد وجد قادة جيوش المسلمين في شخص رسول الله ﷺ خير قدوة لهم وهم يقودون هذه الجيوش من بعده وخاصة عندما يحرض أصحابه على الإقدام والاستشهاد ، فهذا

(١) يُنظر: شعر العقيدة: ١٥٥ .

(٢) يُنظر: دراسات في الأدب الإسلامي: ٢٣٣ د. سامي مكي العاني ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٤٣ .

(٣) فتوح الشام: ١٥٧/١٢ – ١٥٨ للواقدي .

(٤) هو ضرار بن الأزور بن مرداس بن حبيب بن عمرو بن كثير الاسدي ، كان فارسا شجاعا وشاعرا مطبوعا ، قيل استشهد يوم اليمامة ، وقيل سنشهد يوم احدبن ، ويقال انه شهد اليرموك وفتوح الشام ، يُنظر: الإستيعاب: ٧٤٦/٢ – ٧٤٨ ، يُنظر: الإصابة: ٢٦٩/٣ – ٢٧٠ .

(٥) فتوح الشام: ٢٦٨/١ .

شرحبيل بن حسنة[1] يقود أحد جيوش المسلمين في فتح مصر ، فيحرض جنده على مصاولة الأعداء ، وخوض غمار الموت جهراً ، والموت في سبيل الله شهداء كرماء. فقال [2]:

أَلاَ يا عُصبةَ الإسلام صُولُوا ... على الأعداء بالسيف الصَّقِيلِ
إذ يُقُوهُمْ حِياضَ الموتِ جَهْراً ... بلذع السمهري الرمح الطويلِ
وَمُوتُوا في الوغَى قَوماً كِرَاماً ... شِدَاداً في المعامع والنزول

وكانوا في إقدامهم نحو الأعداء يثيرون عزائم رفاقهم المجاهدين بما ينشدونه من أشعار يستذكرون فيها بطولاتهم السابقة ، حتى تكون حافزا للمجاهدين على الإقدام [3] ، فالسوار وهو قائد مجموعة من المجاهدين يوم طاووس [4] يتقدم نحو الأعداء وهو ينشد رجزه الجهادي ، فيقول [5]:

يَا آل عبد القيسِ للقِراعِ ... قَد حفل الأمداد بالجراعِ [6]
وكلُّهم في سنن المَصَاعِ ... يُحسنُ ضربَ القَومِ بالقَطَّاعِ [7]

فما زال يقاتل حتى استشهد "رحمه الله تعالى" . فكان لهذا الإقدام ولهذا الرجز أثر عند قائد آخر ، الجارود بن المعلى الذي خرج يقود مجموعة أخرى من المجاهدين ويتقدم نحو الأعداء ، يقاتلهم بسيفه ويحرض رفاقه بشعره الجهادي ، فأرتجز قائلا [8]:

---

(١) هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عبد الله وهو من كندة ، نُسب إلى امه حسنة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، توفي سنة ثمان عشرة ، يُنظر: الإستيعاب: ٦٩٨/٢ – ٦٩٩ ، والإصابة: ١٩٩/٣ .

(٢) فتوح الشام: ٢٣٤/٢ .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ/١٩٤ .

(٤) كان للمسلمين على الفرس . يُنظر تاريخ الطبري: ٢١٢/٤ – ٢١٣ ، وطاووس موضع بنواحي فارس . يُنظر: معجم البلدان: ٢٤١/٦ .

(٥) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

(٦) الجراع: جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المستوية السهلة . يُنظر: اللسان: ٦٠١/١ (جرع) .

(٧) المصاع: المحالدة والمضاربة . ينظر: اللسان: ٤٢١٨/٦ (مصع) .

(٨) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

لَوْ كَانَ شَيْئاً مِمَّا أَكلته . أَوْ كَانَ مَاء سَادِماً جهرته[1]
لَكِنَّ بَحْراً جَاءَنَا أَنْكَرْته

فقاتل قتال الأبطال حتى سقط شهيدا "رحمه الله تعالى" [2].

إنَّ النماذج المذكورة آنفاً جسدت وبشكل جلي إسهام قادة جيوش المسلمين في هذا العصر وبشكل كبير في إقدام المقاتلين المسلمين نحو التضحية والاستشهاد فكانت الأشعار التي أنشدوها باعثاً قوياً على حب الشهادة والحرص عليها ، كما إنَّ اسلوبهم في التحريض والترغيب كان له أثر مهم في حسم المعارك لصالح المسلمين ، فالمقاتل الذي يكون تحت إمرة هذه القادة فانه سوف يشق صفوف الأعداء ويمزقها بحثا عن الشهادة وما يزال هكذا حتى ينال ما يبحث عنه ، وسوف يبقى هذا الباعث عاملاً حاسماً ما تمسك به من جاء بعدهم من قادة .

٣. الجهاد في سبيل الله :

كان المسلمون في بداية أمرهم قلة مستضعفة يطاردها أعداء الإسلام، لكن هذه القلة وبمرور الأيام ازدادت عدداً ، وقويت نفوذاً ، وأصبحت لها دولة إسلامية مستقلة عندما هاجروا جميعا إلى المدينة المنورة ، وبعد هذا الاستقرار أمرهم الله تعالى بنشر رسالته إلى العالم أجمع وأن يبدأوا أولاً بمن يجاورهم ، لكن هذه الدعوة كانت تحتاج إلى قوة السلاح لكي تحميها وتضمن لها الديمومة والاستمرار ، عندها أذن الله تعالى لعباده المجاهدين بالقتال ، فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [3]. ففرح المجاهدون بهذه البشارة العظيمة من المولى ﷻ وفي الوقت نفسه

(١) الماء السادم: المتغير ، وجهرته: أي عرفته وكشفته . ينظر: اللسان: ١٩٧٦/٣ (سدم) ، والمصدر نفسه: ٧١٠/١ (جبر) .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٣/٤ .

(٣) سورة الحج: الآية ٣٩ .

أخبره المولى "تبارك وتعالى" أنَّ (الجهاد طريق مزروع بالأشواك ، كثير العقبات متنوع الصعوبات محفوف بالمكاره والشدائد . ولكنه سبيل ثلة من البشر هم في مصاف السابقين ومع النبيين والصالحين وهم علية الناس ، وصفوة الخلق بعد الرسل والأنبياء والصديقين، إنه طريق الشهداء) [1]، لأنَّ المولى " تبارك وتعالى " قد وعدهم بأنَّ الذي يُقتَل منهم أو يموت مجاهداً في سبيله تعالى فقد فاز بمغفرته تعالى ورحمته ، ومن يغفر الله له ويرحمه فما بعد ذلك إلاّ الجنة ، فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [2] فحبب إليهم الجهاد في سبيل الله تعالى لأنه طريقهم إلى الشهادة وجنات النعيم ، فهذا زيد بن الأزور قد أحب الجهاد فانضم إلى جيش المسلمين المتوجه إلى قتال المرتدين في معركة اليمامة[3]، يقودهم خالد بن الوليد. فأبلى زيد في ذلك بلاء عظيماً حتى قُطعت رجلاه [4]، لكنه ما توقف ولا تردد عن مواصلة الجهاد لأنه رأى في الساعات التي تفصله عن الفوز بالشهادة حياة طويلة، فتقدم يقاتل وهو ينشد [5]:

هَلْ تأسَ حيويات [6] عني مشهدي حينَ أردتُ الموتَ أدنى من يَدِي
مُلَفْفَفاً في ثوبهِ المُوَرَّدِ آخرُ هذا اليومِ أقْصَى مِن غَدِ
إلى مُلاقاةِ النبيِّ أحمدِ

وقد استشهد في ذلك اليوم كثير من المجاهدين الذين دافعوا عن رسالة الإسلام التي أمروا بنشرها ، فاسترخصوا أرواحهم في ذلك لا يُثنيهم عن مواصلة الجهاد وقتال الأعداء

---

(١) الشهيد في الإسلام: ٨٢ ، كيف السبيل إلى الله ، الجهاد والاستشهاد في الإسلام: ٨٣/١٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٧ .

(٣) ارتد أهل اليمامة في سنة ١١ هـ بقيادة مسيلمة الكذاب بعد وفاة المصطفى ﷺ ، وكانوا قد بايعوه على الإسلام . يُنظر: تاريخ خليفة: ٧٢/١ – ٨٢ ، وتاريخ الطبري: ٢٤٣/٣ – ٢٥٤ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٣٨ – ٤١ .

(٤) يُنظر: الإصابة: ٢١/٣ .

(٥) مصدر نفسه: ٥٦٠/١ .

(٦) لم يجد البحث في المعجم معنىً مناسباً لهذه الكلمة(حيويات) ، وقد تكون هذه الكلمة اسم لامرأة فيكون المعنى كالآتي: هل ستحرم المرأة التي اسمها (حيويات) على استشهادي حين أرمي بنفسي حباً وحرصاً على الشهادة .

ما فقدوا من أعضاء ، بل وجدناهم يفرحون بها لأنها ذهبت في سبيل الله تعالى ، فهذا سليك العقيلي مجاهد قد شارك المسلمين جهادهم في ذلك اليوم فقطعت يده في أثناء قتاله الأعداء [1]، فلم يحزن على فقده إياها بل فخر بما قدمت في سبيل الله تعالى ، فقال [2]:

كَيْفَ تَرَانِي وَأَخِي عَطَارِدَاً ... نَذودُ عن حَنيفةَ المُداوِدَا

أَنشِدُ كَفّاً ذَهَبَتْ وسَاعِدَاً ... أَنشِدُها وَلَا أَرَانِي وَاجِدَا

إنَّ الدين الجديد الذي دعا إليه وبشر به الرسول الكريم ﷺ قد أخذ مكانه في نفوس المسلمين الذين آمنوا به وجاهدوا في سبيله حتى الموت ، فكانت تعاليمه السمحة تتسرب إلى قلوبهم بلا استئذان ، ومعانيه الصادقة تُلامس المشاعر الحسية النابضة بعدما كانت مظلمة خاوية يملؤها الحقد والجهل والظلم [3]، فعلاثة بن وهب صحابي جليل تسرب الإسلام إلى قلبه فآمن بمبادئه وتعاليمه الكريمة فملأ عليه نفسه وحياته خيراً وكرامة ، فلم تُبهره الدنيا ، ولم يأخذه بريقها ففضل طريق الشهادة على أَنْ يعيش ذليلاً [4]، فبعد أَنْ كان في الجاهلية يَئِدُ البنات أصبح يبحث عن أفضل الأعمال عند الله تعالى ، فقيل له: الجهاد ، فانطلق يُجاهد بنفسه والإيمان يملأ قلبه ، وهو يدعو الله تعالى أَنْ يرزقه الشهادة ويُلحقه بأولاده الذين استشهدوا قبله [5]، فقال [6]:

أَيا رَبَّ عِيسَى دَعوةَ وَمحمَّد ... أَجبني فَأَلحِقْني بِأَبْقاهُمَا لِيَا

فاستجاب الله تعالى دعاءَه فَقُتِلَ شهيداً [7].

---

(١) يُنظر: الإصابة: ١٦٨/٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ /١١٣ .

(٤) يُنظر: شعر العقيدة: ١٧٨ .

(٥) استشهد قبله أربعة من أولاده ، وهم: ربيع وعبد الله ، وأبي ، وعظيم . يُنظر: الإصابة: ١١١/٥ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) يُنظر: المصدر نفسه .

إنَّ حبهم للشهادة والحرص عليها جعلهم يُصرون على مواصلة الجهاد وفتح البلاد وهذا ما أكَّدَه عمرو بن العاص عندما كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذ أكد له في هذا الكتاب حرص أصحابه على مواصلة الجهاد وأنهم قد قرروا بيع نفوسهم رخيصة في سبيل الله تعالى ، ويأخذون ثمنها (أمنية عزيزة وغالية وحقا مفروضا وسعادة متناهية لا تُعادلها سعادة) [1] ، إنَّها (الشهادة التي طالما كان المقاتلون يحلمون بها ، وهي الغاية التي يُجاهد المؤمنون للوصول إليها ، وهي أصدق استجابة لدعوة الله المؤمنين إلى الجنة) [2]، فكتب عمرو بن العاص هذه الأبيات التي توضح هذا الحرص وهذا البيع ، فقال [3]:

صَوَارِمُنَا تَشْكو الظمأ في أَكُفِّنا ... وَأَرْمَاحُنا تَشْكُو القَطِيْعةَ كالهَجْرِ

إليكَ افْتِقَادُ الحَرْبِ يَا طَيِّبَ الثَّنَا ... وَيَا مَنْ أَقَامَ الدِّينَ بالعِزِّ والنَّصْرِ

فَقَدْ وَلِعَتْ خَيْرُ الكِرَامِ إلى العِدَا ... بَنُو شَيْبَةَ الحمدَ السري وبَنو فَهْرِ

(١) الشعر والفتوح الإسلامية: ١٠ .

(٢) رثاء شهداء مؤتة في الشعر الإسلامي: ٤٥ ، (بحث) للدكتور رشدي علي حسن ، مجلة بحوث جامعة ، حلب ، العدد العاشر ، ١٩٨٧ ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية .

(٣) فتوح الشام: ١/٢٢٠ .

وصالَتْ لـــوي مـــع مَعْـــدٍ وغـــالِبٍ وسادات مخزوم الكِـــرَام ذوي الفَخْـــرِ
تَرُومُ مَســـيْرَاً للأعـــادي علـــى شَـــفَا تمكن من أعلاهـــم البيـــض كالسُـــمْرِ
تَرى كُلَّ عِلْجٍ (١) غائص في دِلاصـــهِ (٢) تَجَعْجَعَ(٣) في نَقْعٍ تَـــأجَّجَ (٤)كـــالحمرِ (٥)
بِكُلِّ كُميت صَـــادِقِ الوعـــدِ صَـــائِلٍ يرى درعـــه الزاهـــي تمكـــن بـــالصَّبْرِ
نرى الموتَ في وقْـــعِ الوقـــائع مَغْنَمـــاً ونكسِبُ مَن قَتَل العَـــدا غايـــةَ الأَجْـــرِ

فنحن نراهم يستأذنون أمير المؤمنين في أن يسمح لهم كي يواصلوا الجـــهاد ، لماذا ؟ لأنه طريقهم الذي ينالون به الشهادة في سبيل الله تعالى ، بل إنَّ حبهم للجهاد قد أصمهم عن سماع أي نداء من شأنه أنْ يحول بينهم وبيـــن الفـــوز بالجنـــة (٦)، فهذا جُعيدة بن عُبيدة قد لبّى نداء الجهاد فأصبح دائم الحضور في جيش خالد بـــن الوليد في قتال أهل الردة والروم، فطلبت منه ابنته برقة ولطف القعود عن الجـــهاد لكنه ما أطاعها فيما تُريد ، لأنَّه إنْ أطاعها فيما تُريد فقد حرم نفسه من فرصة الفوز بالشهادة ، لذلك أقسم أنْ لا يطيعهـــا حرصاً منه على الشهادة ، فقال (٧):

تَقُولُ ابنة المجنون هَل أنْتَ قَـاعِدٌ ولا وَأَبِيْها حلفـــةً لا أَطِيْعُـــهَا

(١) العلج: الرجل من كفار العجم ، يُنظر: اللسان: ٣٠٦٥/٤ (علج) .
(٢) دلاصه: درعه . يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٠٩/٢ (دلص) .
(٣) تجعجع : أي صُرِعَ . يُنظر: المصدر نفسه: ٦٣٠/١ (جعب)
(٤) تأجج: تصاعد العار كأنه النار الملتهبة . ينظر: المصدر نفسه : ١٣٠/١ (أجج) .
(٥) شبه اضطرام الحرب وتصاعد غبارها بحمرة النار أي لهيبها . ينظر: المصدر نفسه : ٩٩١/٢ (حمر) .
(٦) ينظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٩ ، وشعر الحرب حتى ق١هـ/١٢٥ .
(٧) الإصابة: ٢٦٢/٣ .

لقد استمرت قوافل المجاهدين في فتوحاتهم (وهم يرفعون راية التوحيد ويوطدون أركان الإسلام وينشرون قيم الحق والعدالة والإنسانية) [1]، وقد ملأ الإيمان نفوسهم وحبب إليهم الموت أكثر من أي شيء آخر ، وأنساهم علاقاتهم بذويهم الذين يُناشدونهم البقاء وعدم الخروج على الرغم من رقة هذه النداءات وصدورها من الآباء [2] ، فعندما تحرك جيش تحرير العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى العراق تعالت صيحات الجهاد، فتعلقت آذان المجاهد شيبان بن المخبل بهذا النداء [3]، فخرج مع جيش سعد ليشارك المجاهدين في جهادهم ، لكن أباه الشيخ الكبير استنشده البقاء معه وترك الجهاد ، فما كان من هذا المجاهد الذي استطاب لذة الجهاد ، واستشعر نشوة التضحية في سبيل نشر الرسالة الإسلامية إلا أنَّه واصل المسيرة ومضى إلى حيث يريد ، حيث ساحات الوغى التي تنتظر رجالها الكرماء لكي يُرووا بدمائهم الطاهرة تُرابها المتعطش إليه [4]، فهذا والده يُنشده قائلا [5]:

أَيُمْلِكُني شَيبانَ في كُلِّ ليلةٍ ... لِقَلبي مِن خَوفِ الفِراق دَبِيبُ

وَيُخبِرُني شَيبانَ أن لم يَعُقْني ... تَعِقُّ إذا فارَقْتِني وتَجُوبُ

ومثل شيبان بن المخبل السعدي كلاب بن أمية بن الأسكر الذي لقي طلحة والزبير فسألهما أي الأعمال أفضل ، فقالا: الجهاد في سبيل الله ، فسأل عمر بن الخطاب ﷺ أنْ يُرسله مع جيوش الإسلام فأرسله عمر وكان أبوه قد كبر وضعف[6] ، ولكنه كان يشعر أنَّ صوت الجهاد أعْلَى من كل صوت ، وأنَّ حبه للشهادة قد ترسخ في نفسه فهي أكبر من العاطفة التي تحاول أنْ تشده إلى العودة ، أو تقاوم رغبته الأكيدة التي كان يتطلع من خلالها إلى لقاء الله تعالى ، فوجد هذه الفرصة في جند سعد بن أبي وقاص حيث الرفقة

( ) شعر الحرب حتى ق١هـ/٢٠٣ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤٩ – ٥٠ .

(٣) يُنظر: الإصابة: ٣/٢٢٧ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٧ ، وشعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٠ – ٥١ .

(٥) الإصابة: ٣/٢٢٧ .

(٦) يُنظر: المصدر نفسه : ١/٦٥ .

الصادقة ، والاخوة القائمة على حب الله تعالى ورسوله الكريم [1]، كما وجد في حرصهم على الاستشهاد دافعا قوياً أكد له أنّ طريق الجهاد فيه الخير العظيم ، عندها أدرك الشيخ أنّ ابنه الذي أحبّ الجهاد والاستشهاد لا رجعة له مما دعاه إلى إنشاد شعره الذي أكد فيه ضعفه وعجزه وأنه بأمس الحاجة إلى ابنه ، فقال [2] :

لِمَنْ شَيْخَان قَدْ نَشَدَا كِلاَبَا ... كِتابُ اللهِ إنْ حُفِظ الكِتَابَا

إذَا هَتَفَتْ حَمامةُ بطن وَجٍّ ... عَلى بَيْضَاتِها ذَكَرَا كِلاَبَا

تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعشَةً يَدَاه ... وَأُمُّكَ ما تَسيغُ لها شَرَابَا

هكذا هم رجال الجهاد والاستشهاد لا يبالون بأية دعوة تحول بينهم وبين المُضي إلى ساحات القتال ، فتراهم يخوضون أهوال هذه الحروب وقد باعوا الدنيا بما عند الله تعالى من الثواب الذي لا يعدله ثواب ، بل إنّ حبهم للجهاد وحرصهم عليه أنساهم التفكر في سلامة أجسادهم هذا ما جسده لنا أبو محجن الثقفي عندما شارك المسلمين جهادهم في معركة الجسر [3] التي دارت الحرب فيها على المسلمين فسقط فيها الكثير من شهداء المسلمين . أمّا أبو محجن فلم يُرزق الشهادة فيها لكنه لا يلوم نفسه ولا يتهمها بالتقصير في الجهاد ، لأنه قد حرص كل الحرص على الفوز بالشهادة والدليل على حرصه هذا أنّ الأعداء قد مزّقوا برماحهم ثيابه ، وجادت بطون اكفه بالدماء ، أمّا مهرته فقد نفرت من النبل وخاصرتها قد جادت بالدماء من كثرة الطعن والضرب ، بل إنه كان آخر من غادر ساحة المعركة بعد أنْ رأى الشهداء وهم صرعى في ساحة المعركة . إنها إرادة الله تعالى في أنْ يستشهد رفاقه ويعود هو سالما ، فقال وقد أوضح ذلك كله [4] :

وَمَا لِمْتُ نَفسي فيهمُ غَيْرَ أَنَّها ... إلى أَجَلٍ لَم يأتِها وَهْوَ عَاجِلُ

وَمَارِمْتُ حتَّى خَرَّقُوا بِرِماحِهِم ... ثِيَابِي وَجَادَت بالدِّماءِ الأَبَاجِلُ

(١) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٥٢ .

(٢) الإصابة: ٦٥/١ .

(٣) كانت للفرس على العرب سنة ١٣ هـ . يُنظر: تاريخ الطبري: ٦٧/٤ – ٧٠ ، والكامل في التاريخ: ٤٣٨/٢ – ٤٤٠ ، ومعجم البلدان: ٥٨/٣ ، وأبناء العرب في الإسلام: ٢٣ – ٢٣٣ .

(٤) ديوانه: ٣٢ – ٣٣ نشره وقدم له د. صلاح الدين المنجد .

وَحَتَّى رَأَيْتُ مُهْرَتِي مُزْوَئِرَّةً لَدَى الفِيلِ يَدْمَى نَحرُها والشواكِلُ
وَمَا رُحْتُ حتَّى كُنْتُ آخِرَ رَائحٍ وَصُرِّعَ حَوْلِيْ الصالِحُونَ الأَمَاثِلُ

وهذا عبد الله بن سبرة الحرشي قد خرج مجاهداً مع إخوانه المجاهدين ضد الروم[1]، وفي يوم فلطاس [2] تبارز مع أرطبون الروم فقطعت يده اليمنى التي لم يجزع لفقدها بل استهان لأمرها مُؤكدا حرصه على الشهادة فتمنى أَنْ يكون مع يده التي قُطِعَت فينال الراحة ، راحة الشهادة في سبيل الله [3]، فقال [4]:

يُمْنَى يَدي غَدَتْ مِنِّي مُفارقة لم استَطِع يومَ فِلطَاس لَهَا تَبَعَا
وَمَا ضَنَنْتُ عَليها أَنْ أُصَاحِبَها وَلَقَدْ حَرِصْتُ على أَنْ نَسْتَرِيحَ مَعَا

بهذا الحرص على الشهادة اندفع المجاهدون يواصلون سيرهم الجهادي وهم يحملون راية التوحيد ويرفعونها عالية ، (ويتفانون في حبهم لها ، ويكافحون مستميتين في نشرها وبسطها على رقعة الكون ، لا يبخلون عليها بجهد أو بدم) [5] ، فكلهم (على رغبة وحنين إلى الجنة ، وباستهانة نادرة بالحياة ، يتمثلون الآخرة بنعيمها وظلالها وكأنهم يرونها رأى العين ويطيرون إليها مُتغنين بما وُعِدُوا من جنان تحت ظلال السيوف) [6] ، فهذا عروة بن زيد الخيل قد خرج مُجاهداً في ركب جيش المسلمين إلى معركة نهاوند [7]، خرج يريد الشهادة بعد أَنْ اصبح الجهاد هَمَّهُ الوحيد في الحياة فلا دنيا يريدها ، ولا أموالاً يُريد اكتنازها بل هي الشهادة [8]، فقال [9]:

---

(١) يُنظر: الإصابة: ٦٠/٥ .

(٢) لم نجد لها ذكرا في معجم ما استعجم أو معجم البلدان .

(٣) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٥٠ ، ويُنظر: شعر العقيدة: ١٧٥ .

(٤) الأمالي: ٤٧/١ أبو علي القالي ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، الإصابة: ٦٠/٥ .

(٥) من قضايا الأدب الإسلامي: ٦١ ، د. صالح آدم بيلو .

(٦) شعر الفتوح الإسلامية: ٣٢ .

(٧) كانت للمسلمين على الفرس سنة ٢١هـ ، ونهاوند من بلاد الفرس قرب همذان . يُنظر: تاريخ الطبري: ٢٣١/٤ – ٢٤٦ ، ومعجم البلدان: ٤٠٩/٨ .

(٨) يُنظر: الإسلام والشعر: ٩٥ ، د. سامي مكي العاني .

(٩) الأخبار الطوال: ١٤٧ ، احمد بن داود الدينوري ، تحقيق فلاد يمير جرجاس .

وَأَصْبَحَ هَمِّي في الجهادِ وَنِيَّتِي ... فللّه نَفْسٌ أدبَرَت وتوَلَّـــتِ
فلاَ تَرْوَةَ الدُّنيا نُريدُ اكْتِسَابَهَا ... أَلا إنّها عن وَفْرِها قَد تَجلَّتِ
وَمَاذَا أُرجِّي من كنوزٍ جَمَعْتُهَا ... وَهذي المَنَايَا شُرَّعاً قد أَظَلَّتِ

لقد جسّدَ لنا مجاهدو هذا العصر ومن خلال أشعارهم التي أنشدوها وهم يجوبون ساحات القتال حبهم لطريق الجهاد في سبيل الله تعالى ، لأنّ هدفهم من الجهاد لم يكن مادياً لأجل كسب مغنم أو الاستيلاء على أرض جديدة [1]، وإنما لأجل إعلاء راية الإيمان التي أمرهم الله تعالى بتبليغها للناس كافة [2]، كما إنّ الجهاد في سبيل الله هو طريق المؤمنين إلى الفوز بالشهادة . وبفضل حبهم لهذا الطريق وتمسكهم به استحقوا نصر الله تعالى لهم حينما أذل لهم رقاب المرتدين والكافرين ، وفتح على أيديهم بلدانهم فدخلوها وادخلوا إليها نور الإسلام وعدالته السمحة .

٤. الفوز بالجنة :

جاهد المسلمون المؤمنون ﷺ مع رسول الله ﷺ في جميع مغازيه ، وواصلوا الفتوحات مع خلفائه الراشدين ﷺ ، فشهدوا معارك طاحنة أثبت فيها المسلمون صدق إيمانهم ، فرسموا أجمل صور الفداء والتضحية وأروعها وهم يجوبون ساحات المعارك حاملين أرواحهم على أكفهم غير آبهين بمال أو ولد ، أو زوجة ، أو دنيا فانية لأنهم يبغون ما عند الله تعالى ، وما عند الله خير وأبقى ، فعنده الجنة التي وعدَ بها لمن يُقتل في سبيل إعلاء كلمته العليا ، فيها من النعيم ما لاعين رأت ، ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . هذا التقديس وهذا التكريم لمنزلة الشهادة عند الله تعالى كان لها الأثر الكبير في نفوس المؤمنين ، الذين تسابقوا إلى نيل الشهادة ، والفوز بثمرتها الجنة ، وتتجلى لنا هذه الرغبة الحقيقية في طلب الشهادة ، في أول لقاء بين الفريقين ، وذلك عندما خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه ، وابنه الوليد بن عتبة ، فدعا عتبة للمبارزة

(١) يُنظر: تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الاموية: ٢٣ – ٢٤ تأليف المستشرق الالماني يوليوس فلهوزن ، نقله عن الألمانية وعلق عليه د. محمد عبد الهادي أبو ريده ، راجعه د. حسين مؤنس ، ويُنظر: العقيدة والشريعة في الإسلام: ٣٥ ، ترجمة د. محمد يوسف موسى ، ود. علي حسن عبد القادر ، ود. عبد العزيز عبد الحق .

(٢) يُنظر: صفوة التفاسير: ١/١٢٧ .

فخرج إليه فتية من الأنصار ، وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث [1]، وعبد الله بن رواحة ، لكن عتبة لم يقبل بهم وإنما أراد من قومه من يُبارزهم ، عندها قال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة [2] ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي ، فخرجوا ﷺ ، طائعين لأمر رسول الله ﷺ على رغبة وحنين إلى ما عند الله من اجر عظيم ، أعدّه الله تعالى لمن ظفر بالنصر أو فاز بالشهادة وهم إليها أحوج ، فتبارز الفرسان وتمكن حمزة من قتل عدوه وكذلك علي ، فظفرا بالنصر ، ولم يبق إلاّ أبو عبيدة ، فقد كان يتبارز مع عتبة بن ربيعة ، فتبادلا ضربتين: ضربة عبيدة قتلت عتبة ، أمّا ضربة عتبة فقد قطعت رجل عبيدة [3] ، التي بشرته بدنوه وقربه من الشهادة ، بل إنّ حُبّه للشهادة أنساه مصابه في رجله ، فالمسلم حين (يُضرب بالسيف في سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه ، فما يُحسُّها إلاّ كأنها قبل أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه) [4]، ففرح بها واحتسبها عند الله تعالى ، فهو عندما خرج إلى المبارزة كان يبغي الشهادة في سبيل الله تعالى ، فتضمن له الجنة ، لكن يبقى سؤال وهو ما الذي حمل هذا المجاهد على الشهادة ؟ . إنّ الذي حمل هذا القائد على اختيار الشهادة عدة أسباب: فهي أولا سوف تضمن له الجنة مع الحور العين ، فلا حاجة له في هذه الحياة الدنيا التافهة التي لا قيمة لها ، ثم إنه يرجو كرم ربه وعفوه حين هداه للإسلام ، فغطى كل عيوبه وسيئاته السابقة ، فها هو يجمع ذلك كله ، فيقول [5]:

فَإن تَقطَعُوا رِجْلي فَـإنّي مُسْـلِمٌ ... أُرجّي بها عَيْشَـاً مِـن الله دانِيَـا

مَع الحُور أَمْثَالِ التَماثيل أُخلِصَـت ... مَع الجَنَّة العُليَا لِمَـن كَـانَ عَالِيَـا

---

(١) هما عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن عبيد بن مالك بن النجار الأنصاري ، شهد بدرا مع أخويهما معاذ ، وأمهم عفراء بنت عبيدة بن ثعلبة بن غنيم ابن مالك بن النجار . يُنظر: الإستيعاب: ١٢٢٥/٣ – ١٢٢٦ ، والإصابة: ٤٢/٥ و ١٢٩/٦ .

(٢) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي . كان اسنّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين . يُنظر: الإستيعاب. ١٠٢٠/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٢٠٩/٤ .

(٣) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٧٧/٢ .

(٤) وحي القلم. ١٦/٢ ، مصطفى صادق الرافعي .

(٥) السيرة النبوية ٢٥/٣ ، الروض الأنف: ٣٣٠/٥ ، البداية والنهاية: ٣٣٧/٣ ، شعراء الرسول: ٢٦٣ ، وليد الاعظمي .

وَبِعْتُ بها عَيْشاً تعرَّقْتُ صَفوه ... وَعالجْتُه حَتَّى فَقَدْتُ الأَدَانِيَا
فأكرَمني الرَّحمنُ مِنْ فَضْلِ مَنِّهِ ... بِثَوْبٍ من الإسلام غَطَّى المَسَاوِيَا

فهلك ﷺ من مُصاب رجله ، ففاز بالشهادة في سبيله تعالى التي طالما حرص عليها، وبعد هذا الانتصار في المبارزة ، التحم الجيشان فتهافت المسلمون المجاهدون في قتال الأعداء وهم ينشدون الشهادة والفوز بما أعدَّه الله للشهداء من أجر عظيم [1]، فأصبح (الاستشهاد غايتهم ومُناهُم لأنه سبيل لبقاء عقيدتهم التي حرصوا عليها ، أكثر من حرصهم على أرواحهم) [2]، فهذا كعب بن مالك يوضح لنا ذلك فقال [3]:

ونحنُ أناسٌ لا نَرى القتلَ سُبَّةً ... على كل من يحمي الذِّمار وَيَمْنَعُ
وَلَكِنَّنَا نَقلي الفِرَار وَلا نَرَى ... فِرارَ لمن يَرجُو العَواقِبَ يَنْفَعُ

فكانوا ﷺ يستهينون بالموت في سبيل حُسن الثواب ، لا يعرفون معنى للهزيمة ولا يرضونها، بل يُقدِّمون الأرواح رخيصة في سبيل نيل الشهادة[4]، فيسأل عوف بن الحارث رسول الله ﷺ يا رسول الله: ما يُضحك الرب تبارك وتعالى من عبده ، قال: " أن يراه قد غمس يَدَهُ في القتال يُقاتل حاسرا ، فنزع عوف درعه ثم تقدم فقاتل حتى قُتِلَ"[5]. فخاض المسلمون يوم بدر بنفوس مطمئنة بقدر الله تعالى ، ومؤمنة بأن الموت مصير كل حي ، لذلك فضلوا الشهادة في سبيله تعالى .

فكانت نفوسهم تتوق إلى الجنة ونعيمها المقيم ، ففي كل معركة نراهم يُجسدون هذا العشق لها ، فعندما التقى الحزبان مرة أخرى ، حزب الإيمان وحزب الإلحاد ، كان حمزة بن عبد المطلب ﷺ يتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء حتى اظهر في ذلك اليوم (فداء وتضحية لا نظير لهما بين المجاهدين) [6] ، فقد اثبت حُبَّه الصادق للشهادة عندما تقدم

(١) يُنظر: الشهادة والشهيد في شعر صدر الإسلام: ٤ ، (بحث) للدكتور سامي مكي العاني ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العدد الخامس والثلاثون ، ٢٠٠٠ .

(٢) العروسية في أدب القرن الأول الهجري: ٣٦، رسالة ماجستير، كلية الآداب، بغداد، عادة حرز حبيب، ١٩٨٣

(٣) ديوانه: ١٨٤ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٢ .

(٥) سنن البيهقي: ٩٩/٩ .

(٦) دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٢٢ .

نحو الأعداء يقاتلهم ومعلما نفسه بريشة وضعها في صدره ، فَنَصَرَ الله تعالى ، وَنَصَرَهُ تعالى ، وَنَصْرُهُ تعالى لحمزة ليس نصراً مادياً على الأعداء بل نصراً معنوياً ، إنَّه نصر الشهادة في سبيل الله ، والشاهد على ذلك ما أثبته كعب بن مالك في حق هذا الشهيد ، فقال [1]:

وَأَتَى المَنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ المُسْتَشْهَدُ

فلم يضر المسلمين استشهاد حمزة شيئاً ، لأنه قُتِلَ شهيداً في سبيل الله تعالى فأدخله تعالى جنان الخلد ، فتسابق شعراء المسلمين إلى تأكيد هذا الذي ظفر به حمزة ، فهذا حسان بن ثابت يثبت هذه المنزلة له في معرض رده على ابن الزبعرى فقال [2]:

فَإِنْ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ... قَتِيلٌ ثَوَى لِلَّهِ وَهْوَ مُطِيعُ

فَإِنَّ جِنَانَ الخُلْدِ مَنْزِلُهُ بِهَا ... وَأَمْرُ الذِي يَقْضِي الأُمُورَ سَرِيعُ

وهذا عبد الله بن رواحة الشاعر المجاهد وهو قد حضر هذه المعركة وشهد بدراً قبلها ، يبين لنا عظيم منزلة حمزة التي نالها باستشهاده (وليعزز في نفوس المسلمين عوامل الاندفاع والتضحية) [3]، فقال [4]:

عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ

وهذه صفية بنت عبد المطلب (أخت حمزة) تؤكد لنا ثواب حمزة عند الله تعالى لدرجة أنه تعالى قد دعاه إلى جنان الخلد والنعيم الذي لا يزول ، وهذا الجزاء وهذه المنزلة التي أعدها تعالى لحمزة هو ما كانت تتمناه لحمزة ، لأنها مؤمنة كل الإيمان بان شقيقها حمزة قد ثوى شهيداً عند الله تعالى ، فلم يذهب دمه الذي سال في معركة أُحد هدراً ، بل كان له

(١) ديوانه: ١٦٠ .

(٢) ديوانه: ٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٣) الجهاد في شعر عصر الرسالة : ١١٩ (بحث) للدكتور ايهم عباس القيسي ، مجلة آداب بغداد ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

ثمن غالٍ عنده تعالى ، لأنه في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ، والعبودية لله سبحانه وتعالى ، ثم الفوز برفيع الدرجات وبرضوان الله تعالى [1] فقالت [2]:

دَعَاهُ إِلهِ الخَلْق ذُو العَرْشِ دَعـــوةً ... إِلى جَنَّة يَرْضَى بِهَـــا وَسُـرُورِ

فَذَلك مَا كُنَّـــا نُرجِّـي ونَرتَجِـي ... لِحَمْزَةَ يَوْمَ الحَشْرِ خَيْرَ مَصـــيرِ

لقد فاز حمزة بالشهادة فهي راحة له ، ومن ينالها فقد نال رضا الله تعالى ، وهذا ما أثبتـه حسان بن ثابت لإمامة [3]بنت حمزة بن عبد المطلب عندما جاءت تسأل عن قبر أبيـــها ، فقال لها حسان [4]:

تَسائِلُ عَنْ قَرمٍ هِجَـــانٍ سَـمَيْدَعٍ ... لَدَى البَأسِ مِغوَارِ الصَّباحِ جَسُورِ

فَقُلْـتُ لَهَـا إنَّ الشَّـهادَةَ رَاحَـةٌ ... وَرِضْوانُ ربٍّ يـا أُمَـامُ غَفُـورِ

ومن الذين نالوا شرف الشهادة في تلك المعركة ووجبت لهم الجنة ، غسيل الملائكـة حنظلة [5]، فقد التقى أبا سفيان فلمّا علاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود بن شعوب فقتلـــه ، فقال رسول الله ﷺ :"إن صاحبكم – يعني حنظلة – لتغسله الملائكة" [6]. إنَّ هذه كرامـــة عظيمة ومنزلة رفيعة أعدَّها الله تعالى لهذا الشهيد ، فكان لها أثرٌ في نفـوس المجـاهدين الذين تسابقوا لنيل شرف الشهادة والفوز بجنان الخلد ، فكان النعمان بن مـــالك [7] ممـن أحب الشهادة ورغب فيما عند الله تعالى فسلك طريق الشهداء ، حتى رزقه تعالى الشـهادة

---

(١) يُنظر: دراسات في ادب الدعوة الإسلامية: ٢٥٦ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام: ١٠٥ ، د. ليلى محمد ناظم الحيالي .

(٣) يُنظر: الإصابة: ١٣/٨ .

(٤) ديوانه: ١٣٣ ، وتنسب القصيدة إلى صفية . ينظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٥) هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الاوسي ، قتل يوم أحد شهيدا ، وسمي غسيل الملائكة لأنه قد ألمّ باهله عندمـــا خـرج إلى أحـد . يُنظـر: الإستيعاب: ٣٨٠/١ – ٣٨١ ، والإصابة: ٤٤/٢ .

(٦) البيان والتعريف : ٢٨٦/١ . ابراهيم بن محمد الحسيني .

(٧) هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج ، شهد بدرا واحداً ، وقتـل يـوم أحد شهيداً ، يُنظر: الإستيعاب: ١٥٠٤/٤ – ١٥٠٥ .

التي أوجبت له الجنة فلحق باخوته – حمزة وحنظلة – فكلهم قُتِل في سبيل الله ، فهذا كعب بن مالك يُبين لنا صدق هؤلاء في طلب الشهادة والجنة التي فاز بها فقال [1]:

فَكلُّهُم مَـتَ حُـرَّ البَـلاء ... عَلَـى مِلَّـةِ اللهِ لم يَحْـرَج

وَنُعْمَـانُ أَوْفَى بِمِيثَاقِـهِ [2] ... وَحَنْظَلـة الخـير لم يُحْنَـج [3]

عَن الحقِّ حَـتَّى غَـدَتْ رُوحُـه ... إلى مَـنْزِلٍ فَـاخِرِ الزَبْـرَج [4]

فالشهيد رفيع المنزلة عند الله تعالى ، فهو النور الذي يُضيء للحرية دربها ، وللامة طريقها ، وهو الذي تحفه الملائكة وتطوف عليه بالروح والريحان جزاء بما قدَّم من تضحية في سبيل الله تعالى [5]، وهذه المنزلة العظيمة التي أعدَّها الله تعالى للشهداء ، وبينها ورغَّب فيها النبي ﷺ كانت حافزاً ودافعاً قوياً لشعراء المسلمين الذين وجدوا في هذه المنزلة سلاحاً قوياً يجاهدون به أَهْلَ الكفر والشرك وأهلهما الذين فخروا بمقتل المسلمين المجاهدين [6]، فكانت أشعار المسلمين أشد وقعاً على العدو من نضح النبل [7]، فكان النصر حليف المسلمين في هذه المنازعة لإيمانهم الصادق بأنَّ قتلاهم شهداء ، ومن قُتِل شهيدا فإن مثواه الجنة ، هذا ما أكده الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رثائه لشهداء يوم أحد ، فقال [8]:

وَمَن قَتَلْتُم عَلَى مَا كَانَ مِن عَجَبٍ ... مِنَّا فَقَد صَادَفُوا خَيْراً وَقَـدْ سَـعِدُوا

لَهُمْ جِنَانٌ مِن الفِـردوسِ طَيِّبَـةٌ ... لا يَعْتَرِيـهم بِهَـا حَـرٌّ ولا صَـرَدُ

---

(١) ديوانه: ١٥٨ .

(٢) قال النعمان بن مالك لرسول الله ﷺ والله يا رسول الله لادخلنَّ الجنة فقال له: { بم ؟ } فقال : باني اشهد ان لا اله إلا الله وانك رسول الله ، واني لا أفرّ من الزحف ، قال: { صدقت } ، فقتل يومئذ . يُنظر: الإستيعاب: ١٥٠٤/٤ – ١٥٠٥ .

(٣) يحنج : لم ينصرف عن وجهه الذي أراده من الحق . ينظر: اللسان: ١٠١٩/٢ (حنج) .

(٤) الزبرج: الوشي . ينظر: المصدر نفسه: ١٨٠٦/٣ (زبرج) .

(٥) يُنظر: الشعر في زمن الحرب: ١٥٨ .

(٦) يُنظر: طبقات فحول الشعراء: ٢١٧/١ ، ويُنظر: من أدب الدعوة الإسلامية: ٢٦ عباس الجراري .

(٧) يُنظر: المصدر نفسه .

(٨) ديوانه: ٦٢ ، جمعه وشرحه نعيم زرزور .

صَلَّى الإله عَلَيْهِم كُلَّمَا ذُكِـــرُوا فَربَ مشهد صِـــدْقٍ قَبْلَـــهُ شَـــهِدُوا

أما قتلى أهل الكفر والإلحاد فَإنَّ مصيرهم إلى النار ، فكان هذا المصـــير المحتـــوم سلاحاً قد استوحاه الإمام علي ﷺ ورد به على هند بنت عتبـــة التـــي أظـــهرت فرحـــها وشماتتها بمقتل حمزة ، فأجابها ﷺ أنْ لا تفخر ولا تفرح ، بل تحزن على قتلاهـــم يـــوم بدر ، يوم نال منهم سيف حمزة ، أمّا هو فيفرح لمصير حمزة لأنه نال الشهادة في ســـبيل الله مع الشهداء الأبرار الذين أسكنهم الله تعالى الجنة فهي جزاؤهم ، أمّا قتلـــى الكـــافرين فمصيرهم إلى الجحيم ، فقال الإمام [1]:

أَتَـــانِي أَنَّ هِنْـــدَاً أُخْـــتَ صَخْـــرٍ دَعَتْ دَرَكـــاً وَبَشـــرَّتِ الهُنُـــودَا
فَـــإِنْ تَفْخَـــرِ بِحَمْـــزَةَ حِـــينَ وَلَّـــى مَـــعَ الشـــهداءِ مُحتســـباً شَـــهِيْدَا
فَإِنَّـــا قَـــد قَتَلنَـــا يَـــوْمَ بَـــدْرٍ أَبَـــا جَـــهْلٍ وَعُتبَـــةَ والوَلِيْـــدَا
وشَـــيْبَةَ قَـــد قَتَلْنَـــا يَـــوْمَ ذَاكُـــم عَلَـــى أَثْوَابِـــهِ عَلقـــاً جَسِـــيْدَا
فَبَوئـــي مِـــنْ جَـــهَنَّمَ شَـــرَّ دَارٍ عَلَيْهَا لَـــمْ يَجِـــد عَنْـــهَا مَحِيْـــدَا

(فالجنةُ خالدة لا تفنى ، وكذلك النار ، وأهل كل منهما مخلدون ، لايُدركهم المـــوت ولا يلحقهم الفناء) [2]، وهذا ما أكده كعب بن مالك إذ يقول [3]:

شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّم ثَاوِيـــاً أَبداً وَمَنْ هُو فِي الجِنَانِ مُخَلَّـــد

فالفرق بينهما كبير واسع ، لأنّ جيش الإسلام يقاتل في سبيل الله تعالى وهدفه إعلاء كلمة لا إله إلاّ الله ، وجيش الكفر الذي تعددت عنده الآلهة الزائفة ، فهذا كعب بن مـــالك يُثبت ذلك فيقول [4]:

لَيْسا سَوَاءً وَشَتَّى بَـــينَ أَمْرِهُمَـــا حِزْبُ الإِلهِ وَأَهلُ الشِّرك والنُّصُب

---

(١) الزهرة: النصف الثاني ، ٤٠ ، للأصفهاني تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، ود. نوري القيسي ، ديوانه: ٧١ .

(٢) العقائد الإسلامية: ٣٠٧ ، السيد سابق .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) ديوانه : ١٥٠ .

فمن كان في جيش الكفر وقُتِل كانت النار مثواه ورزقه في الجحيم ، أمّا من كان في جيش الإيمان فقُتِل فقد فاز بالجنة التي وعدهم الله تعالى بها ، فهذا كعب بن مالك يعود مرة أخرى لكي يرد بها على مشركي قريش الذين فخروا بمقتل المسلمين ، فيجيبهم أنّ هؤلاء القتلى يحق للمسلمين الفخر بهم لأنّهم حلُّوا في جنان واسعة ، لكن هؤلاء ما تركوا بيضة المسلمين دون حماية لها ، بل أبقوا لها أُسوداً تُحاميها وتذود عنها ، فقال [1]:

أَلَا أبلغ قُرَيشاً عَلَى نَأْيِهَا ... أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لم تَلِي

فَخَرْتُم بِقَتْلَى أَصَابَتهُمُ ... فَوَاضِلُ من نِعَمِ المُفْضِلِ

فَحَلُّوا جِنَاناً وأَبْقَوا لَكُم ... أُسوداً تُحامِي عَن الأَشْبُلِ

ولم تكن منزلة الشهداء وكرامتهم عند الله تعالى سلاحاً بيد شعراء المسلمين وحدهم، بل كانت سلاحا عند غيرهم من المجاهدين الأبطال فهذا عمر بن الخطاب ﷺ قد أكد هذه المنزلة العظيمة لشهداء المسلمين ، وذلك عندما دارت أحد ، فاتجه المسلمون يومئذ إلى الجبل ، فلحق بهم أبو سفيان وصرخ بأعلى صوته قائلاً [2]:

أَنْعَمَتْ فَعَال ... إِنَّ الحربَ سِجَال

يوم بيوم بدر ... أعلَ هُبَل

أي ظهر دينك ، فقال ﷺ لعمر بن الخطاب: قُم فأجبه فقال عمر [3]:

اللهُ أَعْلَى وَأَجَل ... لا سَوَاء

قَتْلَانَا في الجَنَّة ... وَقَتْلَاكُم في النَّار

إنَّ هذه المنزلة وهذه الثمرة العظيمة كان لها أثرها وصداها في نفوس المؤمنين فهذبها وشوقها إلى ما عند الله تعالى ، لذلك نراهم يتسابقون إلى أي فرصة سانحة تقربهم إلى الفوز بالجنة ، فيا هو وفد الرجيع [4] الذي أرسله الرسول الكريم ﷺ إلى بعض أحياء

---

(١) ديوانه: ١ ٢٠ .

(٢) السير والمغازي: ٣٣٣ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) وفد الرجيع: مجموعة من المجاهدين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى رهط عضل والقارة ليعلموهم الإسلام وتعاليمهم وذلك في السنة الثالثة للهجرة ، فغدروا بهم جميعا وهم: مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البُكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي =

العرب لكي يعلموهم الإسلام ويدعوهم إليه ، وفي الطريق غدروا بهم وقتلوهم ، وما قتِلوا إلاّ في سبيل الله تعالى ، في سبيل نشر دين الإسلام الذي ارتضاه لهم فنالوا الشهادة ، ومَن ينالُ الشهادة يستوجب له كرم الله تعالى وثوابه ، ألاَ وهو جنات الخلد ، فقال حسانُ مُثبتا لهم هذا الجزاء [1]:

صَلَّى الإلهُ عَلَى الذينَ تَتَابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجيع فَأُكرِمُوا وأُثيبُوا

وكان خُبيب بن عدي في ركب هذا الوفد فصدق مع الله تعالى عندما خيروه بين الكفر أو الموت ، فاختار الشهادة في سبيل الله تعالى التي أدخلته جنّة الخلد عند الحور العين [2]، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا هذا الأجر والثواب الذي ناله خُبيب فقال [3]:

عَلَى خُبيبٍ وفي الرَّحمن مَصْرَعُهُ ... لا فَشِلٍ حين تَلْقَاهُ ولا نَزِقِ

فَاذْهَبْ خُبَيبُ جزاك الله طيِّبَةً ... وَجَنَّةَ الخُلدِ عِنْدَ الحورِ في الرُّفُقِ

وقال أيضا [4]:

صَبراً خُبيبُ فَإِنَّ القَتْلَ مَكْرُمَةٌ ... إلى جِنَانٍ نَعيمٍ يَرْجِعُ النَّفَسُ

وهذا سعد بن معاذ ﷺ قد أكرمه الله تعالى بالشهادة من مصابه يوم الخندق [5]، إذ أبقاه تعالى إلى أنْ أراه هلاك بني قريظة فمات عندها شهيداً في سبيل الله تعالى [6]، الذي سيُدخله جنات طيبات . فهذا كعب بن مالك يردُّ على ضرار بن الخطاب الذي شمت

= الاقنع ، وخُبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق . يُنظر: السيرة النبوية: ١٧٨/٣ – ١٨٥ ، وطبقات ابن سعد: ٥٥/٢ – ٥٦ ، وتاريخ الطبري: ٢٩/٣ – ٣١ ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: ٦٤١/٢ للبكري الأندلسي ، ومعجم البلدان: ٣٩١/٤ – ٣٩٢ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٢٣٠ – ٢٣٥ ، والبداية والنهاية: ٦٢/٤ – ٦٩ ، وأيام العرب في الإسلام: ٥١ – ٥٥ .

(١) ديوانه: ١٧٩ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية: ١٨٢/٣ .

(٣) ديوانه: ٢١٣ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٢٧ .

(٥) يُنظر: تفاصيل هذه الغزوة في السيرة النبوية: ٢٢٤/٣ – ٢٤٣ ، وطبقات ابن سعد: ٦٥/٢ – ٧٤ ، وتاريخ الطبري: ٤٣/٣ – ٥٢ ، والكامل في التاريخ: ١٧٨/٢ – ١٨٤ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٢٨٣ – ٣٠٥ ، والبداية والنهاية: ٩٢/٤ – ١١١ .

(٦) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٨/٣ – ٢٦٢ .

بمقتل سعد ، فأجابه كعب: أنَّ ذلك لا يضره شيئا لان الله تعالى سيدخله جنات الخلد مع الصالحين من عباده ، فقال [1]:

فَإِمَّا تَقتُلُوا سَعْدَاً سَفَاهَاً ... فَإِنَّ اللهَ خَيْرُ القَادِرِينَا
سَيُدخله جِنَانَاً طَيِّبَاتٍ ... تَكُونُ مُقامةً للصَّالِحِينَا

إنَّ سعداً ما قاتل لأجل سمعة أو لمغنم بل قاتل وقُتِلَ في سبيل الله تعالى حُبَاً في الجنة ، فأورثه تعالى إيَّاها مع من سبقه من الشهداء فنعم هذا المصير ، هذا ما أثبته حسان بن ثابت ، فقال [2]:

قَتيلٌ ثَوَى في مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ ... عُيونٌ ذوارِي الدَّمْعِ دائِمةِ الوَجْدِ
عَلَى مِلَّةِ الرحمنِ وَارِثِ جَنَّةٍ ... مَعَ الشُهداءِ وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوَفْدِ
فَأَنْتَ الذي يَا سَعْدُ أُبتَ بمشْهَدٍ ... كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ المَكَارِمِ وَالحَمْدِ
فَإِنْ كَانَ رَيْبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ في الأُولَى ... شَرَوا هَذه الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهِ الخُلْدِ

ومن الذين أكرمهم الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم فوجبت لهم الجنة نُفيعٌ ورافع ، فلحقا بسعد وأصحابه إلى جنان الخلد ، هذا ما أثبته حسان فقال [3]:

تَذَكَّرْتُ عَصْراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ ... بَنَاتُ الحَشَا وَانْهَلَّ مِنِّي المَدَامِعُ
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذَكَّرَتْنِي أَحِبَّةً ... وَقَتْلَى مَضَوْا فِيهِمْ نُفَيعٌ وَرَافِعُ [4]
وَسَعْدٌ فَأَضْحَوا في الجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ ... مَنَازِلُهُم والأَرْضُ مِنْهُم بَلاقِعُ

وفي كل معركة لجيش الإسلام كان لنا فيها شهداء أبرار فازوا برضا الله تعالى فجزاهم جنات النعيم ، ففي مؤتة كان لنا في أمراء رسول الله ﷺ نماذج رائعة في الفداء والتضحية في سبيل الله ، فتقدموا يبحثون عن الفوز بجنات الخلد لما علموا من عظيم

---

(١) ديوانه: ٢١٦

(٢) ديوانه: ٤١٥ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٧ .

(٤) لم يجد الباحث في كتب تراجم الصحابة ذكراً لهذين الاسمين ، ولكن ورد في السيرة النبوية ذكر طُفيل بدلا من نفيع ، وطفيل هذا هو ابن النعمان بن حنساء الأنصاري السلمي ، شهد العقبة ، وشهد بدراً ، وأحداً ، وعاش حتى شهد الخندق وقُتل يومها شهيداً . يُنظر: الإستيعاب: ٢/٧٦٢ – ٧٦٣ .

أجرها وكرامة منزلتها ، فكان إقدامهم (دليلاً على قوة الإيمان التي أنست المؤمنين حياتهم وأهليهم فباعوها لله مشترين بها الجنة ونعيمها)[1] ، فهذا زيد بن حارثة يحمل راية النبي ﷺ ويندفع (في صدر العدو ، وهو موقن بأنَّ ليس من موته مفر ، ولكنَّه موقن بأنَّ الموت هو الشهادة في سبيل الله ، وأنَّ الشهادة هي الجنة ، وليس الاستشهاد ودخول الجنة دون الظفر والنصر مكانا)[2]، فقاتل حتى نال الشهادة ، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فتقدم الصفوف وطيف الجنة أمام عينيه ، فشعر بدنوها منه، وقربه إليها حتى كأنه رآها وما فيها من نعيم ، فأنشد [3]:

يَا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقترابُهَا ... طَيِّبَةً وبَارِدَاً شَرَابُهَا

فمضى يُقاتل الأعداء ويخترق الصفوف وهو يتشوق إلى الجنة التي شغلت تفكيره ، فأصبحت شغله الشاغل فما زال على حاله هذه حتى سقط شهيداً في سبيل الله تعالى ، فنال الجنّة التي طالما تمناها وأحبها ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا صدق جعفر في قتال الأعداء ، وحبه وحرصه على الفوز بالجنة فقال [4]:

فَطَاعَنَ حَتَّى ماتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ ... بِمُعْتَرَكٍ فيه القَنَا يَتَكَسَّرُ

فَصَارَ مَعَ المُسْتَشْهَدِيْنَ ثَوَابُهُ ... جِنَانٌ ومُلْتَفُّ الحَدَائِقِ أَخْضَرُ

فأرواح الشهداء في الجنة في جوف طير ترد من أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش [5]، إنها منزلة عظيمة ونعيم يفوق الخيال أعدَّه رب العز والجلال لمن باع نفسه في سبيل الله ، لذلك نجدهم حريصين كل الحرص على الظفر بها ، فإذا ما نادى منادٍ مَن المبارز ؟ وجدتهم يشقون الصفوف للقاء العدو ، ففي إحدى معارك فتوح الشام بين المسلمين والروم ، دعا أحد قادة الروم للقتال ،

---

(١) دور الشعر في معركة الدعوة أيام الرسول: ٤١٥ .

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول: ٥١٣ ، د. احمد إبراهيم الشريف .

(٣) السيرة النبوية: ٢٠/٤ ، الروض الأنف: ١٥/٧ ، الكامل في التاريخ: ٢٣٦/٢ ، غاية الارب في فنون الادب: ٢٨٠/١٧ احمد عبد الوهاب النويري . سير أعلام النبلاء: ٢١٠/١ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام (المغازي): ٤٨٣ ، البداية والنهاية: ٢٤٤/٤ ، حياة الصحابة: ٥٥١/١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) يُنظر: صحيح مسلم: ١٥٠٢/٣ ، وسنن أبي داود: ١٥/٣ ، والمستدرك على الصحيحين: ٩٧/٢ .

فقال عمرو بن العاص: يا معشر العرب من يخرج إليه ويهب نفسه لله ﷻ ، فخرج إليه رجل من بين المسلمين وهو يقول: أنا أكون ذلك . فقال عمرو: بارك الله فيما تريد ، فحمل الرجل المسلم واستقبله عدو الإسلام فجعلا يتبادلان الضربات حتى جرح الرجل المسلم ، لكنه ما تراجع عن بغيته فشد جراحه وخرج إلى لقاء عدو الإسلام ، فناداه ابن عم له أن خذ هذه البيضة واجعلها على رأسك ، فقال: ثقتي بالله اعظم من حديدك ، فمضى نحو عدو الإسلام وقد أقسم أن يدخل الجنة فقال [1]:

يَقُولُ لِي عِنْدَ الخُروجِ لِلقَا ... دونَكَ هَذَا الترس فَاجْعَلْه رَقَا
مِنْ عِلْجِ سُوء قَد بَغَى وَقَد طَغَى ... أَقْسَمْتُ بِاللهِ يَمِينًا صَادِقَا
لا تركنَّ البيضَ فَوْقَ المُرتَقَى ... وَأَدخل الجَنَّةَ دَار المُلتَقَى

فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا: اللهم اعطه ما تمنى ، فحمل على جيش الروم وقتل رجلا وجندل أبطالا ، ولم يزل كذلك حتى قتل " رحمه الله تعالى " ، فقال عمرو: هذا رجل اشترى الجنة من الله تعالى بنفسه ، اللهم أعطه ما تمنى.

إن نعيم الجنة وظلالها كان غاية كل مسلم وهو يقاتل الأعداء بكل شجاعة حتى يفوز بهذا النعيم ، الذي أصبح طيفا جميلا يراود خيالهم ، فهذا سيف الله المسلول يقود أحد جيوش المسلمين في فتوح الشام ويقول: والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله ، فانطلق نحو أعداء الإسلام واخذ ينشد شعرا بين فيه حرصه على قتالهم وتشتيت جمعهم ، عسى الله تعالى أن يرزقه الشهادة التي توجب جنة الخلد فيلحق عن سبقه إليها ، فقال [2]:

اليومُ يومٌ فَازَ مَنْ صَدَقَ ... لا أَرْهَبُ الموتَ إذ الموت طَرَق
لأَروِيَنَّ الرُّمحَ من ذوي الحَدَق ... لاهتكِنَّ البيضَ هَتْكًا والدَرَق
عَسَى أَرَى غَداً مَقَامَ مَنْ صَدَق ... في جنَّة الخُلد وأَلقَى مَنْ سَبَق

(١) فتوح الشام: ٢/٢٤ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٢/ ٢٤ – ٤١ .

وهذا غلام من المسلمين يقول لأبي عبيدة: أيُّها الأمير إني أردت أنْ أشفي قلبي وأُجاهد عدوي وعدّو الإسلام ، وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك ، وَإنْ كان لك حاجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرني بها ، فبكى أبو عبيدة وقال: أقرئ رسول الله ﷺ وأخبره أنّا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، ثم دفع الغلام جواده وحمل يُريد الحرب ، فخرج إليه علج من الروم قد قام من بين الرجال على فرسٍ أشهب، فلمّا رآه الغلام قصده وقد احتسب نفسه في سبيل الله تعالى ، ويرجو الفوز بجنة الفردوس، فقال [1]:

لابُدَّ مِن طَعْنٍ وُضَرْبٍ صَائِبٍ ... بِكُلِّ لَدْنٍ وحُسامٍ قَاضِبٍ

عَسَى أَنَالَ الفوز بِالمَوَاهِبِ ... في جنَّةِ الفِردوسِ وَالمَرَاتِبِ

أمّا سالم بن بُجيعة الكلابي فقد اختاره عمرو بن العاص لكي ينقل كتابه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، فأخذ ناقته واستوى عليها وفي الطريق أخذ ينشد شعراً بين فيه مدى حبه للشهادة والفوز بجنان الخلد فقال [2]:

أَسِيرُ إلى المدينةِ في أَمانِ ... وَأَرْجُو الفَوْزَ في غُرَفِ الجِنَانِ

وَأَرْجُو أَنْ يُقَرِّب لي اجتماعِي ... وَأُعْطَى مَا أُريدُ مِن الأَمَانِي

لقد أصبحت الجنة ونعيمها الدائم باعثاً قوياً حمل المقاتلين على بذل الأرواح سخية في سبيل الله ونيل الشهادة ، وفي كل معركة يخوضون غمارها يزداد حرصهم عليها ، فالقعقاع بن عمرو التميمي كان من مجاهدي جيش القادسية ، فقد كان يتقدم الصفوف وكأنه يبحث عن شيء مهم: نعم إنّه يبحث عن الشهادة التي تحولت في ذهنه إلى سعادة ما بعدها سعادة وكله شوق إليها ، وفي قتاله في ذلك اليوم تتضح لنا (قيمة الاستشهاد التي كان يتمناها ويرجوها بعد أنْ يؤدي دوره ، ويختم أعماله بالصالحات ، ويجاهد في الله حق جهاده) [3]، فقال [4]:

---

(١) فتوح الشام: ١٨٨/١ .

(٢)المصدر نفسه:٢٢٠/٢ .

(٣) شعراء إسلاميون:٢١ ، د. نوري حمودي القيسي، ويُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة : ٩٠ .

(٤) تاريخ الطبري: ١٢٢/٤ ، شعراء إسلاميون: ٣١ – ٣٢ .

أَزْعجهُم عَمْدَاً بهـــا إِزْعَاجَـــا أَطْعَنُ طَعْنَاً صَائِباً ثَجَّاجَـــا
أَرْجُو بِهِ من جَنَّة أَفْوَاجَا

وفي هذه المعركة قُتل الكثير من فرسان الفريقين ولكن شتان ما بين قتلى الفريقين، فقتلى الكافرين مثواهم الجحيم ، أما قتلى المسلمين فهم فـــي جنـــان الفـــردوس ، لأنـــهم استجابوا لنداء الرحمن إذ دعاهم ، فهذا أحد المسلمين يدعو الله تعالى أن يجزيهم جنـــات الفردوس ، ودعاؤه هذا جاء من إيمانه الصادق بأن من يُقتل في ســـبيل الله فـــان مثـــواه الجنة، فقال [1]:

جَزى اللهُ أقواماً بجنـــبِ مشـــرِّق غَدَاةَ دَعَا الرَّحمن مَنْ كَانَ دَاعِيَا
جِنَاناً مِنَ الفِرْدَوسِ وَالمَنْزِلِ الـــذِي يحلُّ به م الخيرَ مَنْ كَـــانَ بَاقِيَـــا

إنَّ ما تقدم ذكره من نماذج رائعة جسَّدَت لنا حرص مجاهدي هـــذا العصـــر علـــى الشهادة والفوز بجنات الخلد التي أعدها المولى ﷻ لشهدائه الأبرار ، فكانت الجنة ومـــا تزال باعثاً قويا لرجال الإسلام في كل زمان ومكان إلى قتال أعداء الإسلام ، لكي ينـــالوا الشهادة ويفوزوا بالجنة .

(١) معجم البلدان: ٢٦٩/٨ .

المبحث الثاني
صفات الشهيد

١. الشجاعة:

لقد عرف العرب بشجاعتهم وبطولتهم في ساحات الوغى ، إذ كانوا يكرمون الشجعان ويتفاخرون بهم [١]، ولأهميتها – الشجاعة – غدت من الصفات الخلقية الأساسية المكملة لشخصية الإنسان ، (بل هي أم الخصال وينبوع فضائل الكمال)[٢]، وجعلها قدامة بن جعفر في ستة أقسام ، هي: (الحماية والدفاع ، والأخذ بالثأر ، والنكاية في العدو ، والمهابة ، وقتل الأقران ، والسير في المهامة الموحشة والقفار ، وما أشبه ذلك)[٣].

وقد ذكر لنا العرب قبل الإسلام من خلال أشعارهم كثيرا من الصفات التي يعرف بها الشجاع ، فقالوا: (إنه الذي لا تروعه الأهوال ، ... ، ولا يتزحزح عن مكانه مهما أحدقت به ، بل يستقبل الموت بصدر رحب ، ويضحي بنفسه في سبيل مبادئه التي يعتقدها) [٤] أو (من أجل تسجيل المجد القبلي) [٥]. و(يرى القتل شرفا ومجدا في سبيل ذلك ، ويرى الفرار خزيا وعارا ، يتلقى الطعنات في صدره ووجهه ، ويأنف أن تصيبه في ظهره) [٦].

تَأَخَّرتُ أَسْتَبقِي الحَياةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتقدَّمَا
فَلُمْنَا على الأَعْقَابِ تدْمَى كُلُومُنَا ... وَلكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا [٧]

كما أنهم كانوا مطيعين لأسيادهم طاعة عمياء ، فكل قبيلة لها رجالها الأشداء ، فإذا ما داهتمها الخطوب ، خرج رجالها وكلهم عزيمة وقوة ، وقد أحكمتهم كثرة الحروب

---

(١) ينظر: البطل في التراث العربي: ٣١ – ٣٢ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٢) فصول في الامرة والامير : ٢٢ ، سعيد حوى .

(٣) نقد الشعر : ٩٨ ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٤) شعر الحرب في العصر الجاهلي: ١/٩٠ ، د. علي الجندي .

(٥) شعر الحرب حتى ق١هـ : ٦٥ .

(٦) شعر الحرب: ١/٩٠ ، د. علي الجندي .

(٧) الحصين بن حمام المري : ديوان الحماسة : ٦٢ ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي

بتجاربها [1]، لكن هذه الصفات على كثرتها لم (تكن دفاعا عن عقيدة ، وإنما كان أغلبها حماية للوجود الشخصي وحفظا للنفوذ الذاتي) [2]، وما زال الأمر على حاله هذا حتى بزغ فجر الإسلام بولادة المصطفى ﷺ وبولادته ولد جيل جديد حمل رسالة عظيمة إلى العالم أجمع ، فأنكر ما أنكره الله تعالى ، وأبقى ما رضيه تعالى فكانت الشجاعة مما رضي عنها الإسلام ، وجعل منها سلاحا قويا يتسلح به المسلمون فحث الباري ﷻ رسوله الكريم ﷺ أَنْ يُحرض المسلمين على قتال الكافرين ، وأَنْ يقاتلوهم بشدة ، حتى يعرف الكافر مدى شجاعة المسلم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[3] كما حث الرسول الكريم ﷺ على الاتصاف بالشجاعة ، فقال: " إنَّ الله يحب الشجاع ولو على قتل حيه " [4] ، فكان لهذا الحث وهذا الإصرار أثر واضح في نفوس شهداء صدر الإسلام ، فكانوا أشجع الناس وأحرصهم على قتل الكافرين، وكيف لا يكونون شجعانا وقائدهم ونبيهم ﷺ كان أشجع الناس كافة ، فهذا الإمام علي ﷺ يخبرنا عن شجاعته فيقول: (كُنَّا إذا حمي الوطيس واشتدت الحرب واحمرت الحدق نتقي برسول الله ﷺ ، وليس رجل اقرب إلى العدو منه) [5]، فساروا على هديه وسلكوا نهجه وتأثروا بشجاعته ، فاصبحوا أسوداً على الكافرين، يدافعون عن الإسلام والمسلمين . وأول محطة لنا في شجاعة هؤلاء الشهداء الأبرار ، محطة الهجرة النبوية الشريفة يوم أَنْ خرج عبد الله بن الحارث [6] مهاجرا في سبيل الله تعالى تاركاً

---

(١) يُنظر: شعر الحرب ١/٩٠ ، د. علي الجندي .

(٢) الشهيد في الإسلام: ٣٢ ، كيف السبيل إلى الله (الجهاد والاستشهاد في الإسلام): ١٦/٥٧ .

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣ .

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٦/١٩٩ احمد بن عبد الله الاصفهاني ، تفسير القرطبي: ١/٣١٥ ولم نجد لهذا الحديث تخريجا في كتب الحديث .

(٥) فصول في الإمرة والأمير: ٢١ .

(٦) هو عبد الله بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي استشهد بالطائف ، وقيل بل استشهد باليمامة . يُنظر: الإصابة: ٤/٥٢ .

وراءه ما يملك ، فأرض الله واسعة ، مُلبيًا نداء رسول الله ﷺ وهو بهجرته هذه يحرض الذين استطابوا البقاء في ديار الشرك والكفر ، فقال [1]:

أَنَّا وَجَدنَا بِلادَ اللهِ وَاسِعَةً ... تُنْجِي مِن الذُلِّ والمَخزَاةِ والهُونِ

فَلا تُقيموا عَلَى ذُلِّ الحياةِ وَخِزْ ... يٍ في الممَاتِ وَعَيبٍ غَيرِ مَأمُونِ

إِنَّا تَبِعْنَا رَسولَ اللهِ وَاطَّرَحوا ... قَولَ النَّبِي وعَالُوا في المَوَازِينِ

ومن هجرة النبي ﷺ إلى معركة بدر الكبرى ، التي أعلنت تحولاً جديداً في تاريخ المسلمين فهي اليوم ليست حرباً لطمع أو ثأر ، وإنما حربٌ جديدة قوامها العقيدة التي دخلت قلوب المجاهدين وشدّت سواعدهم ، وحركت فيهم كل نوازع التضحية والفداء [2]، ولم يكن طريق الشهادة سهلاً بل كان صعباً ، سلاحه العقيدة الراسخة والشجاعة الصامدة ، حتى يفوز بجنة الله تعالى ، فقال ﷻ مذكرهم بذلك: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾[3] وقال "عليه الصلاة والسلام": " ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة " [4] فخرج جيش الرسول ﷺ متسلحا بالعقيدة التي أنارت دروبهم وألهمتهم العزيمة والبأس في مواجهة الشرك والطغيان [5]، (فشعروا لأول مرة بقدرتهم وهي تتوحد وبجهودهم وهي تتوجه نحو إعلاء كلمة الحق لتكون هي العليا) [6]، فسجلت لنا غزوة بدر أروع أمثلة الفداء والتضحية والإخلاص والشجاعة فهي الغزوة التي فرق

---

(١) السير والمغازي: ٢٢١ ، السيرة النبوية: ٣٥٤/١ ، الإصابة: ٥٢/٤ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤ .

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢١٤ .

(٤) سنن الترمذي: ٦٣٣/٤ ، المستدرك على الصحيحين: ٣٤٣/٤ .

(٥) يُنظر: من سفر الإيمان والإرادة في الشعر وأثرهما في تحقيق النصر ، (مقالة) للدكتور ايهم عباس القيسي ، جريدة القادسية ، صفحة ثقافة (٥) ، الأحد: ٢٠٠٢/٢/٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٥ .

الله بها بين الحق والباطل [1]، ومن هؤلاء الشجعان الذين فرق الله تعالى بهم بين الحق والباطل ، عُبيدة بن الحارث الذي أظهر من الشجاعة والجرأة ما جعله يستحق لقب الشجاع ، (فقد قسم أهل التجارب الرجل إلى ثلاثة: فارس ، وشجاع ، وبطل فالفارس الذي يشد إذا شدوا ، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيه ، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولوا) [2] ، فهذا كعب بن مالك يثبت لنا شجاعة عبيدة التي استحقها في ذلك اليوم ، فقال [3]:

جَريء المقدَّم شَاكِي السِّلاح ... كَرِيم النثا طَيِّبِ المَكْسِرِ [4]

وَقَد كَانَ بَحمِي غَداة القِتَا ... ل حَامِيَة الجَيْش بالمِبتَرِ [5]

ومن غزوة بدر إلى غزوة أحد ، التي خرجت إليها قريش في ثلاثة آلاف مقاتل [6]، وهي تشد العزم للأخذ بثأر قتلاها ، وخرج إلى لقائها رسول الله ﷺ في سبعمائة مجاهد، فأصحاب رسول الله لا يقاتلون بعُدة ولا بعدد ، وإنما يقاتلون بالإيمان الخالص لله ، والاستشهاد من أجل الحق [7]، غير مُبالين بفكرة الموت أو الخوف منه ، فقد علموا أنَّ خير الموت أن يُقتل المسلم في ساحة الجهاد [8].

---

(١) يُنظر: بشارات النصر في غزوة بدر: ٧٤ (مقالة) د. محمد السيد طنطاوي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، العدد السادس ، السنة الأولى ، ١٣٨٨ – ١٩٦٩ ،.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣/٢٢٠ .

(٣) ديوانه: ١٦٨ .

(٤) شاكي السلاح: حاد السلاح . يُنظر: اللسان: ٤/٢٣١٤ (شكا) .

(٥) حامية الجيش: أخرهم الذي يحميهم . يُنظر: المصدر نفسه: ٢/١٠١٤ (حما) .

(٦) يُنظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/٤٠ . وتاريخ الاسلام (المغازي) : ١٦٥ .

(٧) يُنظر: اتجاهات جديدة في شعر الحرب في القرن الأول الهجري: ٢٨٧ (بحث) للدكتور نوري حمودي القيسي ، مجلة آفاق عربية ، ع ٨ ، السنة السابعة ، ١٩٨٢ .

(٨) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

فاقتتل الفرسان حتى حميت الحرب[1]، (وتصافحت السيوف) [2] ، وتبادل الفريقان طعنات الرماح وضربات السيوف ، فهذا الصحابي المجاهد كعب بن مالك يصور لنا ذلك المشهد ، فيقول [3]:

فَجِئنَا إِلى مَوجٍ من البحر وَسْطَه ... أَحابيشُ مِنْهم حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثلاثةُ آلاف وَنَحنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاث مئين إِنْ كَثُرنَا وَأربعُ
نُغَاورهم تَجْري المَنِيَّة بَينَنَا ... نُشارعهم حَوْضَ المَنَايَا ونَشْرَعُ [4]
تَمَادَى قِسِيّ النَبْع فينا وَفيهُمُ ... وَمَا هُو إِلاّ اليثربيّ المُقطَّعُ

فأثبت صحابة رسول الله شجاعتهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ ومن هؤلاء الشجعان أسد الله الغالب حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، فقد ذاد عن الإسلام والمسلمين بكل شجاعة عرفتها ساحات القتال ، فهذا وحشي يصف لنا شجاعته في ذلك اليوم فيقول: (والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يُبقي شيئا مثل الجمل الأورق) [5]، ولم يكن الشعر غائبا عن هذه المعركة ولا عن غيرها ، بل هو في حضور دائم يوثق الأحداث ويصور الأحاسيس والمشاعر ، مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم الذين استطابوا القتال في سبيل الله تعالى وما أنْ سقط أسد الله شهيداً حتى تسابق الشعراء إلى رثائه وإبراز شجاعته التي عرف بها ، ولا نقصد بالرثاء هنا الرثاء الجاهلي القائم على أسلوب الجزع والنواح بل هو رثاء آخر ، (فرثاء الشهداء لون جديد لم يألفه الشعر العربي من قبل) [6]، فقد أصبح الرثاء سلاحاً مهماً من أسلحة الدعوة الإسلامية ، لأنه يُمجد سيرة الشهداء الأبرار الذين باعوا النفوس رخيصة في سبيل الله تعالى ، ويثير في نفوس المجاهدين الشجاعة والعزم

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/٧٢ .
(٢) شهداء الإسلام في عصر النبوة: ١٥ د. علي سامي النشار .
(٣) ديوانه : ١٨٢ .
(٤) نغاورهم : نداولهم ، ونشارعهم : أي نشارهم . ينظر: اللسان: ٥/٣٣١٤ (غور) و ٤/٢٢٣٨ (شرع) .
(٥) السير والمغازي: ٣٢٩ ، والسيرة النبوية: ٣/٧٤ .
(٦) رثاء شهداء مؤتة في الشعر الإسلامي (بحث): ٤٥ ، د. رشدي علي حسن . مجلة بحوث جامعة حلب-ع ١٠- ١٩٨٧

على قتال الأعداء ، متخذاً من هؤلاء الشهداء نماذج رائعة في الشجاعة فيدعوهم إلى الاقتداء بهم والحرص على السير في الطريق الذي قُتلوا من أجله [١].

فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا شجاعته وجهاده ، فيعدد مواقفه الشجاعة التي لا ينساها كل مسلم ، فقد كان حمزة فارس المسلمين وحاميهم من أعدائهم ، قال حسان [٢]:

مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَامِيَنَا إِذَا بُعِثَ المسالِحْ

وهو عتاد كل حرب جاهز لها ، فقال [٣] :

وَلِمَا يَنُوبُ الدَّهْرُ في حَرْبٍ لِحَربٍ وَهي لاقِحْ

يُدافع عن المسلمين بيده ولسانه ، يرد كيد الأعداء إذا ما اشتدت الخطوب على المسلمين ، فكان ﷺ أسد الله المدافع عن الرسول والمسلمين، قال حسان [٤]:

يا فَارِسَاً يَا مِدْرَهاً يا حَمْزَ قَدْ كُنتَ المُصَامِحْ
عَنَّا شَدِيدَاتِ الخطوب إذا يَنُوبُ لَهُنَّ فَادِح
ذكَّرتني أَسَدَ الرَّسُولِ وَكَانَ مِدْرَهَنَا المُنافِحْ

وهو مقاتل خبير بأمور الحرب ، كسيبته كثرتها وظروفها وأحوالها هذه الخبرة ، يترك أعداءه يتعثرون بالرماح لسرعته في القتال ، (فهو يغشى الخيل وفرسانها حين نكوصها على أعقابها كأنه الليث الباسل في غاباته)[٥]، قال حسان[٦]:

التَّارِكِ القِرْنَ لَدَى قِرْنِهِ يَعْثُرُ في ذِي الخُرُصِ الذَّابِلِ [٧]
وَاللابِسِ الخَيْلَ إِذَا أَحْجَمَت كَاللَّيثِ في غَابَاتِهِ البَاسِلِ

---

(١) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ / ٥٦ .

(٢) ديوانه: ٤٥٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥١

(٤) المصدر نفسه .

(٥) شرح ديوان حسان بن ثابت: ص ٣٨٦ الهامش ، د. عبد الرحمن البرقوقي .

(٦) ديوانه: ٣٢١ .

(٧) ذو الخرص: الرمح ، الخُرص: سنانه ، يُنظر: اللسان: ١١٣٣/٢ (مادة خرص)
الدابل: الرقيق . يُنظر: المصدر نفسه: ١٤٨٨/٣ (ذبل) .

إنَّ ساحات المعارك التي خاض على أرضها أسد الله المعارك الحاسمة ضد أعداء الإسلام دليلٌ على شجاعته ، فقد نال سيفه من عتبة بن ربيعة وهو من أسياد مكة يوم الفرقان يوم بدر ، وغيره من مشركي قريش ، فأكد حسان هذا الماضي المجيد ، وهذه الشجاعة عندما استحضرها ليرد بها على هند بن عتبة عندما شمتت بمقتل الشهيد الشجاع حمزة ، فقال حسان [1]:

وَكَانَ فِي الإِسلامِ ذَا تُدْرَأ ... لَم يَكُ بالوَانِي وَلا الخَاذِلِ
لَا تَفْرَحي يَا هِنْدُ وَاسْتَحْلِبِي ... دَمَعاً وأذري عَبْرَةَ الثَّاكِلِ
وَابْكِي عَلَى عُتْبَةَ إِذْ قَطَّهُ ... بالسَّيفِ تَحْتَ الرَّهَجِ الجَائِلِ
إِذْ خَرَّ فِي مَشْيَخَةٍ مِنكُمُ ... مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ
أَرْدَاهُمُ حَمْزَةُ فِي أُسْرَةٍ ... يَمْشُونَ تَحْتَ الحَلَقِ الذَّائِلِ

وهذا كعب بن مالك يؤكد شجاعة حمزة ، فقد رآه يوم أحد وهو يصرع شُجعان قريش الكافرين مطروحين على الأرض ، وقد بدا له وهو مُكتَمِل العُدة الحربية كأنه أسد مفترس غليظ ، وقد امتلأت أكتافه بالشعر ، فقال [2]:

وَالتَّارك القِرْن الكَمِيَّ مُجَدَّلاً ... يَوْمَ الكَرِيهةِ والقَنَا يَتَقَصَّدُ [3]
وتَراه يَرْفِلُ في الحَدِيدِ كَأنَّه ... ذو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَرَاثِنِ أَربَدُ

وهو بطل الحروب الطويلة ، هذا ما وصفه به كعب بن مالك فقال [4]:

فَقَدْ كَانَ عِزّاً لِلأَيْتَامِنَا ... وَلَيْثَ المَلَاحِمِ في الحِزَّةِ

إنَّ شجاعة حمزة في قتاله أعداء الإسلام جعلت منه نموذجاً رائعاً في الشجاعة يتردد على لسان كل من عرف وأدرك شجاعته ، فصفية بنت عبد المطلب – أخته – عرفت

(١) ديوانه: ٣٢١ – ٣٢٢ .
(٢) ديوانه: ١٦٠ .
(٣) يتقصد: يتكسر . يُنظر: اللسان: ٣٦٤٣/٥ (قصد) .
(٤) ديوانه: ١٧٥ .

شجاعة أخيها ودفاعه عن الإسلام ضد المشركين الكافرين ، فهي لا تنسى شجاعته ، فقد كان خيرَ أخ لها ، وخير نصير للإسلام والمسلمين ، تقول صفية [1]:

تُسَائِلِ عَنْ قَرْمٍ هِجَانٍ سُمَيدعٍ ... لَدَىْ البَاسِ مِغوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ
عَلَى أَسَدِ اللهِ الذي كَانَ مِذْرَهَا ... يَذُودُ عَنْ الإِسلامِ كُلَّ كَفُورِ
أَقُولُ وَقَد أَعْلَى النَّعِيُّ بِمِلكِهِ ... جَزَىْ اللهُ خَيْرًا مِن أَخٍ وَنَصِيرِ

وكان حمزة مطيعا لله ورسوله ، وكانت غايته من جهاده وقتاله الأعداء أَنْ ينال رضا الله تعالى ورسوله الكريم ، (فطاعة الله ورسوله مع خشية الله وتقواه أدبٌ رفيع ، يُنبئ عن مدى إشراق القلوب بنور الله ، واتصاله به ، وشعوره بهيبته ، كما يُنبئ عن عزة القلب المؤمن واستعلائه) [2]، قال كعب [3]:

يُرِيدُ بِذَاكَ رِضَا أَحْمَدٍ ... وَرِضْوَانَ ذِي العَرْشِ وَالعِزَّةِ

وكان لاستشهاد حمزة ﷺ أثر في نفوس المسلمين الذين تأثروا بشجاعته وصولته على الأعداء ، فواصلوا الجهاد ضد الأعداء بكل شجاعة وقوة [4]، فهذا عبد الله بن سلمة[5] ممن واصل جهاد الأعداء يضربهم بكل شجاعة ، فهو عربي أصيل يعرف معنى الشجاعة يطعن برمحه المستوي الأعداء حتى ينثني ، وما انثناؤه إلاّ دليل شجاعته ، فقال مردداً في قتاله الأعداء [6]:

أَنَا الذِي يُقَالُ أَصْلِي مِن بَلَى ... أَطْعَنُ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنثَنِي
وَلا يَرَىْ مِجْذَرًا يَفْرِي فَرَى

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ ، وديوانها: ٨٨ ، جمع وتحقيق د. ليلى محمد ناظم الخيالي ، مجلة المورد العدد الأول ، ١٩٩٩ .

(٢) في ظلال القرآن: مجلد: ١١٧/١٨/٦ سيد قطب .

(٣) ديوانه: ١٧٥ .

(٤) يُنظر: دراسات في الأدب الإسلامي: ٢٢٣ .

(٥) هو عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجد بن حارثة بن ضبيعة البلوي ثم الأنصاري ، شهد بدراً وقُتِلَ يوم أُحدٍ شهيداً . يُنظر: الإستيعاب: ٩٢٣/٣ ، والإصابة: ٨١/٤-٨٢ .

(٦) الإصابة: ٨٢/٤ .

لقد أظهر صحابة رسول الله ﷺ في ذلك شجاعة وتضحية لا نظير لهما ، وقد يقول قائل: إنّ شجاعة شهداء المسلمين التي صورها شعراء المسلمين مبالغٌ فيها لما لصدمة استشهادهم من اثر في نفوسهم ، فأخذوا يُعظمون من شأنهم ويُعلون مكانتهم بين المسلمين؟ والجواب عن هذا القول ، نقول إنّ شجاعة المسلمين ليس فيها شيء من التعظيم والتهويل ، وإنْ كان دليل القائل على هذا التعظيم والتهويل أنها صادرة من شعراء المسلمين ، فنقول إنّ شجاعة المسلمين ما أشاد بها ولا عرفها المسلمون فقط ، بل حتى أعداء الإسلام اعترفوا بهذه الشجاعة وعدوها مفخرة لهم في قتل هؤلاء الشجعان ، فهذا عبد الله بن الزبعرى يقول في ذلك [1]:

كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ ... مَاجِدِ الجَدَّين مِقْدَامٍ بَطَلْ

صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ ... غَيْرَ مُلتاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ [2]

ومن غزوة أُحد إلى يوم الرجيع إذ أثبت لنا وفد رسول الله ﷺ شجاعتهم في قتال أعداء الإسلام الذين غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم القبائل فأرادوا أسرهم ، فأبوا ذلك ، فقال لهم عاصم: والله لا أقبل من مشرك عهدا ولا عقداً أبداً فهذا الرد يعلمنا قوة ثباته وعظيم صبره ، فهو قد عاهد الله من قبل على الصبر فأخذ سيفه وجعل يقاتل أعداءه وهو يرتجز قائلاً [3]:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالقَوسُ فِيهَا وَترٌ عُنَابِلُ [4]

تَزِل عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلِ ... المَوتُ حَقٌّ والحَيَاةُ بَاطِلُ

وَكلُّ مَا حَمَّ الإِلَهُ نَازِلِ ... بِالمَرءِ وَالمَرءُ إِلَيهِ آئِلُ [5]

إِنْ لَمْ أُقَاتِلكُم فَأُمِّي هَابِلِ

---

(١) السيرة النبوية : ١٤٣/٣ .

(٢) بارع: المبرز على غيره . يُنظر: اللسان: ٢٦٠/١ (برع) .

الأسل: الرماح . يُنظر: المصدر نفسه: ٨٠/١ (أسل) .

(٣) السيرة النبوية : ١٧٩/٣ ، الروض الأنف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٤) عنابل: شديد غليظ . يُنظر: اللسان: ٣١٢٠/٤ (عنبل) .

(٥) حم الإله: قدره ، وائل: صائر ، يُنظر: اللسان: ١٠٠٦/٢ (حمم) .

فهو مؤمن بالله ورسوله ، وبحتمية الموت على العباد ، وبقدر الله تعالى خيره وشره. ومؤمن هذا حاله لا يمكن أنْ يتردد لحظة في قتال أعداء الإسلام ، وقد جعل من نفسه جنديا يدافع عن دين الإسلام ، فاستمر في قتاله إياهم، وهو يردد [1]:

أَبُو سُليمان وَريشُ المقعد ... وَضَالةٌ مثل الجَحيمِ المُوقَدِ

إِذَا النَّواجي افْتَرِشَت لم أُرعد ... ومُجناً من جلدِ ثورٍ أجْرَدِ [2]

ومؤمنٌ بما على محمَّد

وكان عاصم رامياً جيداً ، وقد نال من مشركي قريش يوم أحد ، فاستذكر فعله بهم وأصالة قومه ، متخذا ذلك حافزا له في قتالهم ، فقال [3]:

أَبُو سُليمان وَمِثْلِي رَامَى ... وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَراً كِرَامَا

فاستمر في قتاله لهم حتى استشهد هو وصاحباه ﷺ [4] ، ولم يكن الشعر بمنأى عن هذه الشجاعة ، بل أسهم في توثيقها وتأكيدها وجعل منها نبراساً يهتدى به المجاهدون من بعد ، فهذا حسان بن ثابت يؤكد لنا شجاعته إذ أَبَى أنْ ينزل على عهدهم فقاتل حتى قُتل دون أنْ يُمكِّنهُم من ظهره [5] ، فقال [6]:

وَالعَاصِمُ المقتولُ عندَ رجيعِهم ... كَسَبَ المَعالي إنَّهُ لكسُوبُ

مَنَعَ المَقَاذِفَ أنْ يَنالوا ظَهْرَهُ ... حَتَّى يُجالدَ إنَّه لنَجيبُ

لقد صدق مع الله تعالى ونصر دينه فنصره الله تعالى ، فعاصم قد عاهد الله تعالى بأَنْ لا يمسَّ مشركا أَبداً [7]، فوفى بما عاهد حتى قُتل ، فنصره الله تعالى وذلك أنَّ عاصماً كان قد قتل أحد المشركين يوم أحد ، فنذرت أم المقتول أنها إنْ قدرت على رأس عاصم

---

(١) السيرة النبوية: ١٧٩/٣ ، الروض الانف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٢) المجناً: الترس لا حديد فيه . يُنظر: اللسان: ٦٩١/١ (جنأ) .

(٣) السيرة النبوية : ١٨٠/٣ ، الروض الآنف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٢٣٨/١ .

(٤) صاحباه هم مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البُكير ، يُنظر السيرة النبوية : ١٧٩/٣ .

(٥) يُنظر: شرح ديوان حسان : ٨٥ الهامش .

(٦) ديوانه: ١٧٩ .

(٧) يُنظر: السيرة النبوية: ١٧٩/٣ ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٣٣ .

لتَشربَنَّ في قحفه الخمر ، فعندما أرادوا قطع رأسه الشريف حمته الدُبر ، فلما حالت بينه وبينهم ، قالوا: إنَّ الدُبر ستذهب إذا جاء الليل ، فبعث الله ﷻ مطراً جاء بسيل فحمله ، فلم يُعلم مكانه أبداً [1]، إنه نصر الله تعالى: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ [2] ويصور لنا حسان هذا النصر لعاصم جزاءً على ما أبداه من شجاعة في نصر دين الله تعالى ، فقال[3]:

فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيهِمُ ... بِقَتْلِ الذي تَحْمِيهِ دُونَ الحَرائِمِ

أَبابِيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دُونَ لَحْمِهِ ... حَمَتْ لَحْمَ شَهَّادٍ عِظَامَ الملاحِمِ

وقال [4]:

قَتِيلٌ حَمَتْهُ الدَّبرُ حَوْلَ بُيوتِهِم ... لَدَى أَهْلِ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَخَفَاءِ

وممن أثبت شجاعته في ذلك اليوم واستحق الذكر والثناء خبيب بن عدي ، فهو ليس جباناً ولا ضعيفاً ، بل هو فتى الفتيان ، فلنستمع إلى حسان بن ثابت وهو يصف ذلك ، فقال [5]:

عَلَى خُبيبٍ وفي الرحمنِ مَصْرَعُهُ ... لا فَشِلٍ حِين تَلْقَاهُ ولا نَزِقِ

وقال أيضا [6]:

لَو كَانَ في الدَّار قَوْمٌ ذو مُحافَظَةٍ ... حَامِي الحَقِيقةِ مَاضٍ خَالُهُ أَنَسُ

إِذَاً حَلَلْتَ خُبيبٌ مَنْزِلاً فُسِحاً ... وَلَم يُشَدَّ عَلَيْكَ الكَبْلُ وَالْحَرَسُ

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/١٨٠ ، و الإستيعاب: ٢/٧٨٠ ، والروض الآنف: ٦/١٦٤ ، والمنتظم في تواريخ الملوك والامم : ٢/٧٣٦ عبد الرحمن بن علي الجوزي ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٣٣ .

(٢) سورة محمد : الاية ٧ .

(٣) ديوانه : ٥١٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٤٠٦ .

(٥) المصدر نفسه : ٢١٣ .

(٦) المصدر نفسه :٢٢٧ .

ولما علموا شجاعته وبسالته ، وهو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر [1]، لجأوا إلى الغدر والخيانة فعملهم هذا يدل على جبنهم ، ويدل ويؤكد في الوقت نفسه على شجاعة خبيب ، قال حسان [2]:

دَلُوكَ غَدْرَاً وَهُم فِيهَا أُلو خُلُفٍ ... وَأَنْتَ ضَيمٌ لَها في الدَارِ مُحتَبَسُ

وقال أيضا [3]:

أَجَرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمُ ... وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجيعِ لِهَا ذِمَا[4]

وقال[5] :

هُمُ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجيعِ وأَسْلَمَت ... أَمَانَتُهُم ذا عِفَّةٍ وَمَكَارِمِ

وقال [6]:

هُمُ غَدَرُوا بذِمَّتِهِم خُبَيْبَاً ... فَبِئسَ العَهْدُ عَهْدُهُمُ الكَذُوبُ

ومن يوم الرجيع إلى بدر الموعد [7]، إذ تواعد الجيشان على الخروج والإلتقاء في المكان الأول نفسه الذي شهد شجاعة المسلمين ونصرهم وجُبنَ الكافرين وهزيمتهم فخرج جيش المسلمين طائعاً ، لأنه اعتقد بان (سمو الواجب الذي خرجوا من أجل إحقاقه ، وقدسية المهمة التي أُنيطت بهم قد جعلتهم لا يأبهون بالأخطار ، ولا يلتفتون إلى الصعوبات التي كانت تعترض مسيرتهم) [8]، لكن الأخير لم يحضر إلى بدر ، وكيف يحضرون وهم قد شهدوا شجاعة المسلمين وبسالتهم في المكان نفسه ، فقال المجاهد عبد الله بن رواحة قولا عبر فيه عن شجاعة أصحاب رسول الله ﷺ واستعدادهم للقاء

(١) يُنظر: الإستيعاب: ٤٤٠٧/٢ .

(٢) ديوانه: ٢٢٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٨ .

(٤) اللهادم : اللصوص وقطاع الطرق . ينظر اللسان :٤٠٨٦/٥ (هدم) .

(٥) ديوانه : ٥١٣

(٦) المصدر نفسه : ١٧٣ .

(٧)يُنظر: السيرة: ٢٢٠/٣ ، ويُنظر: تاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٥٠.

(٨) جهاد في شعر عصر الرسالة : ١٢٠ .

أعدائهم ، فاستذكر شجاعة أسد الله حمزة في يوم بدر يوم أنْ قَتَل عتبة بن ربيعة ومصرع أبي جهل ، فقال[1]:

فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا ... لَأُبْتَ ذَمِيمَاً وافْتَقَدْتَ المَوالِيَا

تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتبَةَ وابنَهُ ... وَعَمْراً أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا

إنَّ من خُلق الفارس العربي الشجاع الذي يخوض غمار المعارك الضارية، ويُبارز فرسان أعدائه وينتصر عليهم (أنْ يعترف بقوة خصمه ، ويشهد له بالثبات في المعركة والصبر على مصائبها واحتمال عواقبها ، ويُبدي إعجابَهُ في بعض الأحيان ... وهو لا يذم الخصم بما ليس فيه ، ولا يُجرِّده من صفات الفروسية الحقة ، لأن في ذلك عيباً على الفارس ، ومنقصة يأنف عنها)[2] وقد وُجِدَ هذا الخُلق عند فرسان المسلمين الذين يُقاتلون من أجل الحق والعدل ، فقد اعترفوا بشجاعة أعدائهم الكافرين دون أي بخس لهذه الشجاعة ، فقال كعب [3]:

فَنِلنَا وَنَالَ القَومُ مِنَّا وَرُبَّما ... فَعَلْنَا وَلَكِن مَالَدَى اللهِ أَوْسَعُ

وَدَارَتْ رُحانَا واستَدَارَتْ رُحاهُم ... وَقَدْ جَعَلُوا كُلٌّ مِن الشَرِّ يَشْبَعُ

إنَّ عدم حضور قريش في بدر الموعد لايعني نهاية الصراع بين المسلمين وأعدائهم ، إذ نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يُخبره بأمر الله تعالى له بالمسير إلى بني قُريظة ، فأمر رسول الله أصحابه بالتهيؤ لقتالهم ، فاستجاب المسلمون لأمره ، وما كرهوا الخروج إلى القتال لأنهم بطاعتهم لنبيهم قد أطاعوا ربهم ، وطاعة الله تعالى ورسوله الكريم تُوجب لهم الرضا والنصر على الأعداء والفوز بالشهادة ، قال كعب بن مالك [4] :

وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ ... وَإِذَا مَا دَعَا لِكَرِيهَةٍ لَم نُسْبَقِ

---

(١) ديوانه : ١٠٩ .

(٢) دراسات في الشعر الجاهلي: ١٠٤ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٣) ديوانه : ١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٦– ١٩٧ .

وَمَتَى مَا يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِهَا ... وَمَتَى نَرَ الحَوْمَاتِ فيها نُعْنَقِ
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... فِينَا مُطَاعُ الأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقِ
فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا ... وَيُصِيبُنَا من نَيْلِ ذَاكَ بِمُرْفَقِ

فحاصروا أعداءهم خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار ، وقذف في قلوبهم الرعب [1]، فأراد رسول الله ﷺ تحديد مصير بني قريظة ، فقالت الأوس: يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، فقال لهم رسول الله: ألاَ ترضون يا معشر الأوس أنْ يحكم فيكم رجل منكم ؟ قالوا: بلى ، قال رسول الله ، فذاك سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رفيدة [2] وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فحملوه حتى أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإنَّ رسول الله إنَّما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال: لقد أنَى لسعد أنْ تأخذه في الله لومة لائم ، فلما أذنَ له رسول الله ﷺ في إصدار حكمه عليهم ، قال: أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء [3].

إنَّ سعداً في حكمه هذا يبين لنا(عنف أثر العقيدة في نفسه التي لم تجد حرجاً من تجاوز كل العواطف الأسرية ، فدعته إلى أنْ ينفذ حكم الله)[4] في مواليه بكل شجاعة وحزم، لأنهم خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وفي حكم سعد هذا نلحظ أثر الإسلام في المسلمين فقد صبغهم(صبغة جديدة،حتى انقطعت الصلة بينهم جاهليين وبينهم مسلمين)[5]، فاستجاب الله دعاءه يوم أنْ أصيبَ بسهم في يوم الخندق قطع منه الأكحل وأعجزه عن مواصلة الجهاد ، فدعا الله ﷻ قائلا :(اللهم إنْ كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أنْ أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإنْ كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر

(١) ينظر: السيرة النبوية : ٢٤٤/٣ – ٢٤٦ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٣٠٧ – ٣١١ .
(٢) هي رفيدة الأنصارية أو الأسلمية . ينظر: الإصابة: ٨١/٨ .
(٣) ينظر: السيرة النبوية : ٢٤٩/٣ – ٢٥٠ .
(٤) العروبة في أدب القرن الأول: ١٤٥ .
(٥) فجر الإسلام: ٩٨/١ ، احمد أمين .

عيني من بني قريظة [1] فجعل الله تعالى هلاكهم على يديه ، فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد فمات منه شهيداً ﷺ [2]. إنَّ شجاعة سعد كان لها صداها عند المسلمين ، فهذه أمه كُبيشة [3] ترثيه رثاءً صادقا ليس كرثاء الجاهلية المصاحب لضرب الخدود وشق الجيوب [4]، فالإسلام عندما جاء هذب النفوس وأمحا الروح الجاهلية بقيمها ودوافعها المادية ، وأحل الإيمان محل الكفر ، وبات الإنسان يلجأ لخالقه في الملمات ، وأصبحت مرضاة الله هي المبتغاة ، يُضحي الفرد بماله ونفسه في سبيل الله جل شأنه ،[5] لذلك نراها صابرة على حكم الله تعالى لأنه قتل في سبيل الله تعالى ، فهو يستحق الفخر والإشادة به ، فهي في رثائها له تذكر شجاعته وفتكه في الأعداء ، (فالرثاء باب واسع لا ينغلق على البكاء والتفجع والتوجع ، بل ينفتح على الفخر والحماسة) [6] وهو ما فعلته أمه ، فقالت [7]:

وَيْلُ أمِّ سَعْدٍ سَعدَاً صَرامةً وَجِدّا
وَسُؤدداً وَمَجْدَا وَفَارساً مُعَدّا
سَدَّ بِهِ مَسَدَّا يَقُدُّها ما قَدَّا

وما أصدق من قولها هذا إلاَّ قوله ﷺ : " كل نائحة تكذب، إلاَّ نائحة سعد بن معاذ"[8]، فرسول الله يؤكد ما وصفته من شجاعة هذا الصحابي الجليل . وكُلمَّا حاول المشركون الاعتداء على المسلمين ، كان لهم المسلمون بالمرصاد وردوا عدوانهم ،

(١) يُنظر: السيرة النبوية : ٢٣٨/٣ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٢٩١ – ٢٩٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٢/٣ ، والمصدر نفسه : ٣١٩

(٣) هي كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر ، وهو حذرة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج . يُنظر:الإستيعاب: ١٩٠٦/٤ .

(٤) يُنظر: صحيح البخاري: ٤٣٥/١ .

(٥) يُنظر: رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: ٤٥ – ٤٦ د. محمد ابراهيم حور .

(٦) دراسات في الأدب الجاهلي (منطلقاته العربية وآفاقه الإنسانية : ١٥٧/١) د. عادل جاسم البياتي .

(٧) معجم ديوان أشعار النساء: ١٥١ .

(٨) صحيح مسلم: ٣٣٢/١ .

يدفعهم إلى ذلك الإيمان الصادق بعقيدتهم ، وفروسيتهم التي وظفوها لخدمة الإسلام [١]، ففي غزوة مؤتة كان لنا فيها (نماذج تُقتدى وروادا أماثل تُحتذى لأنهم استطاعوا أنْ يكونوا الصورة المثلى) [٢] في الشجاعة والفداء. إنهم أمراء رسول الله ﷺ إلى قتال الفرس والروم ، فكأن أحدهم تُقطع أجزاء جسده في مبارزته الأعداء ولا يُضره ذلك شيئاً، لأنه مؤمن بما عند الله تعالى من أجر عظيم . فكلهم قاتل الأعداء بشجاعة الأسود الكواسر حتى رزقهم الله تعالى الشهادة ، فكانوا ﷺ موضع عز وفخر للمسلمين طالما دافعوا عن الإسلام والمسلمين ، وفرّجوا عن المسلمين كل أمرٍ عسير مر بهم ، وهذا دليل الشجعان ، قال حسان [٣]:

فَمَا زَالَ فِي الإِسلامِ مِن آلِ هَاشِمٍ ... دَعَائِمُ عِزٍّ لا يَزُولُ وَمفخَرُ

هُمُ جَبلُ الإِسلامِ والنَّاسُ حَوْلَهُ ... رِضَامٌ إِلى طَوْدٍ يَرُوقُ وَيَقْهَرُ

بِهِمْ تُكْشَفُ اللأْوَاءُ فِي كُلِّ مَأزِقٍ ... عَمَاسَ إِذَا مَا ضَاقَ بِالقَوْمِ مَصْدَرُ

لقد كان لفرسان المسلمين حضور دائم في جميع المعارك والغزوات التي خاض غمارها مجاهدو الحق مع قائدهم ونبيهم محمد ﷺ فكانوا مثلاً رائعاً في جهادهم من أجل عقيدتهم ضد أعداء الإسلام [٤]، وهذا ما أثبتوه في غزوة حنين عندما خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألف مقاتل ، ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه للقاء هوازن [٥]، فكان المشركون قد سبقوا المسلمين إلى وادي حنين [٦]، فكمنوا في شعابه وجوانبه ومضايقه فتهيؤا وأعدوا أنفسهم للقاء جيش رسول الله ، فدارت المعركة وتفرق المسلمون ونادى فيهم رسول الله ﷺ أيها الناس ؟ هلمّوا إليَّ أنا رسول الله ، أنا

---

(١) يُنظر: العروسية في أدب ق١هـ / ٤٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٢٠٥ ، د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبد اللطيف.

(٣) ديوانه : ٩٨ .

(٤) يُنظر: العروسية في أدب ق١هـ/ ٥٢ .

(٥) يُنظر: تاريخ الطبري : ١٢٧/٣ .

(٦) حنين: وادٍ إلى جنب ذي الجحاز ، وحدثت هذه الغزوة سنة ٨ هـ، يُنظر: السيرة النبوية: ٨٠/٤ – ١٠٠ ، وطبقات ابن سعد: ١٤٩/٢ – ١٥٧ ، وتاريخ الطبري: ١٢٥/٣ – ١٣٩ ، ومعجم البلدان: ١٩٠/٣ ، والكامل في التاريخ: ٢٦١ – ٢٦٦ .

محمد بن عبد الله [1]، فكان لبني سُليم موقف مشرف في هذه المعركة ، يقودهم فارس يَعْدِلُ مائة رجل ، إنه الضحاك بن سفيان [2]، فأثبت شجاعته وبطولته وهو يقاتل الكافرين، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذه المعركة ، بل رافق (أغلب المعارك التي خاضها المجاهدون ... ، فكان ينبض بروح القوة والثبات ليعزز في نفوس المسلمين عوامل الاندفاع والتضحية) [3]، فالعباس بن مرداس شاعر مجاهد يصور لنا شجاعة القائد الشجاع الضحاك في ذلك اليوم وما فعله بالأعداء وهو يُقَطِّعُ الرؤوس بسلاحه الحاد ، وخبرته العسكرية التي وظفها للدفاع عن المسلمين ، فقال [4]:

رَجُلاً بِهِ ذَرَبُ السِّلاح كَأنه ... لما تَكَنَّفَه العَدُوُّ يَرَاكَا

يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ القَرِيبِ وَإِنَّمَا ... يَبغي رِضَا الرَّحمنُ ثُمَّ رِضَاكَا

أُنبيكَ أَنِّي قَدْ رَأيتُ مَكَرَّهُ ... تَحتَ العَجاجَةِ يَلْمَعُ الإِشْرَاكَا

طَوْراً يُعانِقُ بِاليَدَينِ وتَارةً ... يَفرِي الجَماجِمَ صَارِماً بَتَّاكَا

يَغْشَى بِهِ هَامَ الكُماةَ وَلَوْ تَرَى ... مِنهُ الَّذي عَاينتُ كَانَ شِفَاكَا

وفي غمرة أحداث هذه المعركة يقع زهير بن العجوة [5] أسيراً بيد الأعداء ، فكُتِفَ وضُرب عنقه ، فقتل شهيداً ، وهنا يأتي دور الشعر في توثيق شجاعة وبطولة هذا الشهيد فهذا ابن عمه يخاطب الذي قتله ويقسم له بأن لو لاقى زهير غير مُوثق لقاتله بشجاعة وشراسة ، كشراسة ضباع الوادي المشتهيات للأكل ، ويصرعه أسو صرعة ، لكنه قتله مُوثق ، وهذا يدل على جُبن قاتله ، وشجاعة زهير [6]، فقال أبو خراش الهذلي [7]:

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/٨٣ – ٨٥ .

(٢) هو الضحاك بن سفيان بن الحارث بن زائدة بن عبد الله بن حبيب بن مالك بن خفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمي ، كان صاحب راية بني سليم ورأسهم وقال لهم حين تبعوا الفجاءة السلمي يا بني سليم بئس ما فعلتم ، ، وقال لهم ليس بيي وبيكم هوادة ، ثم رجع مع المسلمين إلى قتاله فاستشهد . يُنظر: الإصابة ٣/٢٦٦-٢٦٧ .

(٣) الجهاد في شعر عصر صدر الإسلام: ١١٩ .

(٤) ديوانه : ٩٦ ، جمع وتحقيق د. يحيى الجبوري .

(٥) هو زهير بن العجوة الهذلي قُتل يوم حنين مسلماً . يُنظر: الإصابة: ١/٥٥٤ .

(٦) يُنظر: شرح أشعار الهذليين: ٣/١٢٢٢ .

(٧) ديوان الهذليين: ق٢ : ١٥٠ .

فَوَ اللهِ لَوْ لَاقِيتَـــهُ غَـــيْرَ مُوثَـــقٍ لآبكَ بِالجَزعِ الضِّباعُ النَّواهِـــلُ
وَإِنَّكَ لَـــو وَاجَهْتَـــهُ إِذْ لَقِيتَـــهُ فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْـــتَ مِمَّـــن يُنَـــازِلُ
لَظَلَّ جَمِيلٌ أَسْـــوَأَ القَـــومِ تَلَّـــةً وَلَكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلمَرءِ شَـــاغِلُ

ولم تكن شجاعة الشهداء وبطولاتهم التي صورها الشعر قاصرة على دور الرجال في نقلها لنا ، بل كان للمرأة دورٌ في هذا المجال ، فهذه عاتكة [1] بنت نفيل تصـــور لنـــا شجاعة زوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق " رضي الله عنهما " الذي استشهد فـــي غـــزوة الطائف [2]من سهم أصابه [3]، وهي في وصفها لنا شجاعته لا تعمد إلى التأمل الطويل في تعظيم شجاعته وإظهاره بصورة هو مغايرٌ لها ، بل كان وصفها له حقيقة من غير تـــأمل لأنها زوجته وأقرب الناس إليه ، لذلك فهي أقدر الناس على اكتشاف حقيقة شـــجاعته [4]، فقالت [5]:

فَللَّهِ عَيْنَاً مَن رَأَى مِثلَـــهُ فَـــتىً أَكَرَّ وَأَحْمَى فِي الجِهَادِ وَأَصْـــبَرَا
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الأَسِنَّةُ خَاضَـــهَا إِلَى المَوتِ حَتَّى يترك الرمحَ أَحْمَرَا

هكذا هم رجال الإسلام الذين تربوا في مدرسة رســـول الله ﷺ رأينـــاهم يُقـــاتلون الأعداء بشجاعة الأسود . ولم (يتأثر أو يضعف هذا الإيمان الراسخ في قلوب المقـــاتلين بعد وفاة قائد الأمة ورسولها الكريم ﷺ إنما لازمهم) [6]، لأنهم أدركوا (أنهم ورثة هـــذا النبي الذي بُعِثَ فيهم إلى الناس كافة ، يهدونهم بهديه إلى ما اهتدوا إليه ، وما ارتضـــوه

---

(١) هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية ، أخت سعيد بن زيد ، أمها أم كرز بنت عبد الله بن عمار بـــن مالك الحضرمي ، كانت من المهاجرات تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق " رضي الله عنهما " ، يُنظر: الإســـتيعاب: ١٨٧٦/٤ – ١٨٨٠ .

(٢) كانت غزوة الطائف سنة ٨هـــ ، يُنظر: تفاصيل هذه الغزوة في السيرة النبوية: ١٢٢/٤ – ١٢٨ ، وتاريخ خليفة: ٥٢/١ – ٥٣ ، وطبقات ابن سعد: ١٥٧/٢ – ١٦٠ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٥٩١ – ٥٩٨ .

(٣) يُنظر: الإستيعاب: ٨٧٤/٣ – ٨٧٥ ، والإصابة: ٤٢/٤ .

(٤) يُنظر: السلاح في الشعر الأموي: ٧١ ، رسالة ماجستير ـــ كلية الآداب – جامعة بغداد ـــ محمد حسين علي ١٩٩٩ .

(٥) معجم ديوان أشعار الخنساء: ١١٨ .

(٦) الفروسية في أدب ق ١هـــ / ١٥٣ .

لأنفسهم ، فعليهم وحدهم يقع هذا العبء) [1]، فما أن تسلم أبو بكر الصديق ﷺ مقاليد الخلافة حتى طغت على الجزيرة موجة حادة من الردة ، إذ امتنع كثير من العرب عن أداء الزكاة ، فاستشار الصديق كبار الصحابة فيما يصنع ، فقالوا لا طاقة لنا بقتال العرب جميعا ، فقال: (والله لئن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب إلي من أن يكون رأيي هذا) [2]، ثم صعد المنبر فخطب الناس خطبته المشهورة التي قال فيها: والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله ، وهو خير معين [3]... ولما رأوا إصرار الخليفة على ذلك علموا أنه الحق فهو يحافظ على عقيدة المسلمين التي ورثها عن رسول الله ﷺ ومأمور بتبليغها إلى الناس أجمع ، فهي لا تساوم ، بل هي واجب عليهم ، فأطاعوه لان طاعته واجبة عليهم ، فتقلدوا سلاحهم وامتطوا خيولهم لمحاربة المرتدين[4]، (وكان من الطبيعي أنْ يواكب الشعر هذا الحدث الرهيب) [5] وينقل (جهاد المؤمنين الذين دافعوا عن الحق ، ووقفوا بوجه النزعة الحمقاء التي حاولت إيقاف الرسالة ، وجالدوا المرتدين بعزائم قوية ومقاومة صلبة وتفان مخلص) [6] ، ففي السنة الحادية عشرة من الهجرة توجه جيش المسلمين لقتال المرتدين في اليمامة ، فالتقى الناس واقتتلوا قتلا شديدا أظهر فيه المسلمون أنبل صور الفداء والتضحية في سبيل العقيدة التي حملوها للناس ، فقاتلوا الأعداء وجعلوا يتواصون بينهم ويقولون يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، فهذا ثابت بن قيس[7] يحمل راية الأنصار ويتوجه نحو الأعداء يجالدهم بسيفه ، فدارت المعركة على المسلمين واشتدت عليهم وحمى وطيسها ، أما ثابت بن قيس فقد حفر لقدميه

---

(١) شعر الفتوح الإسلامية: ٣٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي: ٥٣ ، د. شوقي ضيف .

(٣) ينظر: أيام العرب في الإسلام: ١٤٨ ، والعقال: ركاة عام من الإبل والغنم . ينظر: اللسان: ٣٠٤٩/٤ (عقل).

(٤) ينظر: الفروسية في ادب: ق١هـ / ١٥٣ .

(٥) الإسلام والشعر: ١٨٤ ، د. سامي مكي العاني .

(٦) شعر الحرب حتى ق١هـ / ١٠٧ .

(٧) هو ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج يكنى ابا محمد ، وقيل ابا عبد الرحمن، شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيدا "رحمه الله". ينظر: الإستيعاب: ٢٠٠/١ – ٢٠٣، والإصابة: ٢٠٣/١ .

في الأرض بعدما ما تحنَّط وتكفَّن ، ولم يزل يقاتل بشجاعة حتى قُتِل شهيداً [١]. فما كان من رفيقه في الجهاد إلَّا أنْ يُخلِّد شجاعة هذا المجاهد ، إنّه عمرو بن عامر الأنصاري[٢]، فقال [٣]:

لَمَّا رَأَىٰ النَّاسُ قَدْ فَلّوا ظُهورهمُ ... نَادَىٰ البَراء وَكانا عُدَّةَ البَاسِ

مَا زَالَ يَضْرِبُ بالمِأثورِ مُعترِضاً ... جَمْعَ العَدوِّ كَلَيْثٍ بَيْنَ أَخيَاسِ

حَتَّى أَصَابَ التي قَدْ كَانَ يَطلبُها ... أَعْظِم بما نَالهُ المرءُ ابن شَمَّاسِ

وهذا مجاهد آخر التحق بجيش خالد بن الوليد لقتال المرتدين ، فأظهر من الشجاعة والبطولة ما لم يُظهر غيره ، فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" إنه عبد الله بن المنذر [٤]. ولم تكن شجاعته بمنأى عن عيون الشعر الذي واكب هذه المعارك، بل صورها ووثقها وأعلى من شأنها ، ومَن صورها لنا ؟ إنه نافع بن الأسود[٥] ، فقد كان مجاهداً في هذه المعركة ، فقال في حق شجاعة عبد الله [٦]:

اذْهَب فَلَا يُبعدنك الله مِنْ رَجُلٍ ... مَورِي حُروبٍ وللعَافِين والنَّادِي

مَا كَانَ يَعدِلُهُ في النَّاسِ مِن أَحَدٍ ... ولا يُوازيهِ في نُعْمَى وَإِرْصَادِ

وما تزال المعركة ملتهبة بين الجيشين ، وخير من ينقل لنا مشاهدها الرهيبة ، بطل مجاهد ممن نال شرف المشاركة ومن ثم الشهادة ، إنّه ضرار بن الأزور ، فقد كان من جنود الحق في ذلك اليوم ، فصور لنا التقاء الجيشين ، والسيوف والرماح قد تصافحت ، والنبال تبادلت ، والدماء قد سالت حتى غطّت حجارة الوادي فقال [٧]:

---

(١) يُنظر: أيام العرب في الإسلام: ١٧١ .

(٢) يُنظر: الإصابة: ٤/٥ .

(٣) الحماسة الشجرية: ق ٣١٨/١ لأبي الشجري .

(٤) هو عبد الله بن المنذر بن حلال التميمي ، استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد . يُنظر: الإصابة: ٩٥/٥-٩٦ .

(٥) هو نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك التميمي الاسيدي ، مخضرم يُكنى أبا نجيد . يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٢/٦ .

(٦) المصدر نفسه: ٩٦/٥ ، وديوانه : ١١٢ ، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد ، ع الأول ، المجلد ١١ ، ١٩٨٢ ، .

(٧) تاريخ الطبري : ٢٥٢/٣ .

وَلَوْ سُئِلَت عَنَّا جَنوبَ لاخبرت ... عَنَنبةَ سَالت عقربـاءُ وملـهمِ
وَسَالَ بِفَرعِ الوادِ حَتَّى تَرَقْرَقَتْ ... حِجارتهُ فِيهَا مِن القَوم بِـالدَّمِ
عَيشةَ لا تُغْـنِي الرِّمـاحُ مَكَانَهَـا ... وَلَا النَبل إلاَّ المشرفيُّ المُصمِّـمِ

إنَّ هذه الأحداث الرهيبة لم تكن لتضعف من عزيمة المسلم المجاهد الـذي خـرج لقتال أعداء الإسلام ، فهو مسلم مؤمن بعقيدة الإسلام ، يرى في الجهاد حق عليه لان فيه الفوز برضا الله ﷻ . فقال [1]:

فَإن تَبْتَغِي الكُفَّار غَيْرَ مُليمـةٍ ... جَنوب فإنِّي تَابع الدين مُسـلمُ
أُجاهدُ إذَا كَانَ الجِهَادُ غَنِيمَـةً ... وَلِلهِ بِـالمَرءِ المُجَـاهِدُ أَعْلَـمُ

لقد كانت معركة اليمامة موقعة فاصلة بين جيش الحق وجموع العـرب المرتديـن الذين لم يشهد التاريخ مثل تجمعهم ضد جيش الإسلام [2].

وتُواصل جيوش المسلمين محاربتها للمرتدين الذين خرجوا عـن طاعـة خليفـة المسلمين فهم يدركون حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم في هداية الأمم الضالـة إلـى طريق الحق ، فهذا سيف الله المسلول يتوجه إلى دومة الجندل[3] بأمر من الصديـق ﷺ ولمَّا بلغ أهل دومة الجندل مسير خالد إليهم بُهتوا ، ثم اختلـف زعمـاؤهم بينـهم فيمـا يصنعون ، وكان عليهم رئيسان: أُكيدر بن عبد الملك[4] ، والجوديّ بن ربيعـة ، فقـال: أُكيدر: أنا اعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائراً منه ، ولا يرى قومٌ وجـه خـالد قلُّوا أو

(١) تاريخ الطبري ٢٥٢/٣ .

(٢) يُنظر: شعر الحرب حتى ق ١هـ/١٠٧ .

(٣) خالد بن الوليد على أكيدر بن عبـد الملك سنة ١٢هـ ، ودومة الجنـدل: في شمال نجد على سبع مراحل من دمشق . يُنظـر: تاريخ الطبري : ٢٢/٤ – ٢٧ ، والكامـل في التاريـخ: ٣٩٥/٢ – ٣٩٦ ، ومعجـم البلـدان: ٣٢٥/٤ – ٣٢٦ .

(٤) هو اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل كان شجاعا مولعا باقتناص الوحش ، وجه النبي ﷺ خالد بن الوليـد في (٤٢) فارسا من المدينه فلما قارب حصنه رآه في نفر من رجاله يطاردون بقر الوحش ، فاحاط به وأسره وأوثقـه خالد وأقبل به على الحصن ففتحه صلحا ، وعاد خالد بالأكيدر إلى المدينة فقبل اسلم ورده رسول الله إلى بلاده بعـد أن كتب له كتابا يمنع المسلمين من التعرض لقومه ، ولما توفي رسول الله نقض أُكيدر العهد عندها أمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل . يُنظر: الأعلام: ٥٦/٢ للزركلي .

كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم ، فأبوا عليه ، فقال: لن أماليكم على حرب خالد [1]، فنزل خالد وجيشه لملاقاة الجودي بن ربيعة ، فالتقى الجيشان في معركة كفتها الراجحة لجيش خالد بن الوليد ، وفي كل معركة يخوضها جيش الإسلام تتجلى لنا العقيدة الصادقة من خلال مواقف المجاهدين الذين يخوضون غمار هذه المعارك بكل شجاعة ، فنافع[2] بن غيلان مجاهد نذر نفسه للدفاع عن حياض الإسلام ، خرج في جيش خالد هذا ، فقاتل وجاهد بكل شجاعة حتى نال الشهادة ، وخير من يصور لنا شجاعته أبوه، الذي حزن عليه حزن محتسب وصابر لان ابنه شهيد شجاع فما كان منه إلا أن يفتخر بشجاعته ، فقال [3]:

يَا نَافِعاً مَنْ لِلفوارس أَحْجَمَتْ عَن شِدَّة مَذْكورة وَطِعَانِ

يَا نَافِعاً مَنْ لِلفوارسِ إِذْ ثَوَوا في يوم بؤسٍ أَو ليوم لِيَانِ

فكان النصر لجيش الإيمان ، فقد هزم الله تعالى الكافرين على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وتستمر جيوش المؤمنين في مطاردة فلول المرتدين والقضاء عليهم حتى استطاعوا السيطرة عليهم وإخضاعهم للحكم الإسلامي المتجسد بالخليفة الراشد أبي بكر الصديق ، ولم يفكر المسلمون لحظة واحدة بالتوقف عن نشر الرسالة الإسلامية حتى بعد وفاة الصديق ، فاكمل هذه المهمة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكل جد وعزيمة على نشر هذه العقيدة إلى خارج حدود الجزيرة العربية ، فندب الناس وحثهم على مواصلة الجهاد ضد أعدائهم من الفرس والروم، وما عليهم لكي يقوموا بنشر رسالتهم إلاَّ أَنْ (يقطعوا هذه الطرق التي طالما قطعوها من قبل تجاراً يحملون عروض الدنيا ، لكنهم في هذه المرة يحملون تجارة لن تبور ، يحملون دين الله الحق وهدي رسوله ، ويبشرون بما هو خير وأبقى) [4] . ولم يكن شعراء صدر الإسلام المجاهدون بعيدين عن مواكبة هذه الجحافل المؤمنة ، بل كانوا في مقدمة صفوفها ، (يقفون على دقائق الاحداث بكل

(١) ينظر: أيام العرب في الإسلام: ٢٠٦ .

(٢) هو نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي ، استشهد في جيش خالد بن الوليد بدومة الجندل . ينظر: الإستيعاب: ١٤٩١/٤ ، والإصابة: ٢٢٧/٦ .

(٣) التعازي والمراثي: ٢٣٩ للمبرد . والتعازي: ٥٠/١ لأبي الحسن علي بن محمد المدائني .

(٤) شعر الفتوح الإسلامية: ٣٢ .

تصوراتهم ، يرصدون الخفقة الهامسة ، ويلتقطون الصوت الأصيل ويُتابعون روح المقاتلين وهي تواجه الأحداث بجرأة ، ويلتمسون إقدامهم وهم يقتحمون المواقف الصعبة)[1]، ففي معركة الجسر [2] قاد جمع المؤمنين أبو عبيدة ضد جموع الفرس الكافرين ، وكان أعداء الإسلام قد جلبوا معهم الفيلة لكي يقاتلوا بها المسلمين ، فدارت المعركة واشتد القتال على المسلمين ، وأبو عبيدة يُقاتل الأعداء بشجاعة وثبات ، فرأى فيلاً أبيض ، فوثب عليه وقطع بطانته ، فوقع اللذين عليه ، وضرب خرطومه بالسيف ، لكن الفيل تقدم لأبي عبيدة وضربه برجله ، فألقاه على الأرض ، ثم وقف فوقه فأزهق روحه " رحمه الله " [3]. لقد كان هذا القائد صادقاً في اللقاء ، شجاعاً في القتال ، ما تردد أمام جموع الفرس الكثيرة ، بل قاتل بكل شجاعة وهو يحمل راية المسلمين حتى نال الشهادة[4]، وهنا يأتي دور الشعر في توثيق هذه الشجاعة ، فهذا أبو محجن الثقفي شاعر مجاهد قد حضر هذه المعركة ، فصور لنا شجاعة هذا القائد ، إذ صور تكسر الرايات ، ويقصد بها راية أبي عبيدة ، والراية لا تُكسر إلاَّ بعد قتال طويل ، وكلاهما دليل مُقاتلته الأعداء ، وهذه المقاتلة دليل شجاعته ، فقال أبو محجن [5]:

يَا عَيْنُ بَكِّي أَبَا جَبْرٍ وَوَالِـــده ... إِذَا تَحَطَّمَتِ الرَّايَاتُ وَالحَلَـق[6]

لقد كانت موقعة عظيمة أبدى فيها المسلمون شجاعتهم في قتال أعدائهم ، وهاهو عين الأحداث في قلب المعركة ينقل لنا ذلك إنه أبو محجن الثقفي فقال [7]:

إِلى فِتيَةٍ بِالطَّفِّ نِيلَت سَـرَاتُهُمْ ... وغُودِرَ أَفْرَاسٌ لَهُمْ وَرَوَاحِـلُ

---

(١) اتجاهات جديدة في شعر الحرب في القرن الأول الهجري: ٢٨٩ .

(٢) موضع بشاطئ الفرات الغربي ، وسمي بذلك لما كان من قطعه من وراء المسلمين . يُنظر: تاريخ الطبري:٤/٦٧ – ٧٠ ، والكامل في التاريخ: ٢/٤٣٨ – ٤٤٠ ، ومعجم البلدان: ٣/٥٨ .

(٣) يُنظر: تاريخ الطبري: ٤/٦٨ .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٤/٦٩-٧٠.

(٥) ديوانه: ٢٨ .

(٦) الحلق: الدرع . يُنظر: اللسان: ٢/٩٦٩ (حلق) .

(٧) ديوانه: ٣٠ .

ومن هؤلاء الفرسان التجعان الذين قاتلوا الأعداء وأبلوا بلاءً حسناً حتى نالوا الشهادة الحُتات بن ذريح [1] الذي استشهد في هذه المعركة وهو يقاتل الفرس ، فلمّا عَلِم أبوه باستشهاده أشاد بشجاعته في القتال وانعدام نظيره بين الفرسان إلى يوم الدين ، لكنه في الوقت نفسه مؤمن بالله تعالى وبقدره خيره وشره، فلكل أجل كتاب [2]، فقال [3]:

أَبْغِي الحُتَاتُ فِي الجِهَادِ وَلَا أَرَى ... لَهُ شَبَهًا مَا دَامَ لله سَاجِد

وَكَانَ الحُتَاتُ كَالشِّهَابِ حَياتـه ... وَكُلُ شِهَابٍ لَا مَحَالَةَ خَامِد

إنَّ ما أصاب المسلمين يوم قس الناطف لم يثنِ من عزيمتهم في قتال الفرس الطامعين وتحرير البلاد من سيطرتهم . فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ينتدب الناس إلى المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين لقتال الفرس ، فلمّا بلغ رُستم . والفيرزان ما عليه المثنى جمّعا جيشاً عظيماً جعلا عليه القائد مهران الهمذاني ، فانتهوا إلى المثنى وهو بالبويب [4] ، فاستعد الفريقان للقتال ، ومع أول تكبيرة للمثنى اختلط الجيشان وتقاتلا قتالا شديداً ، واثبت المسلمون شجاعتهم خلف قائدهم المثنى الذي تمكن من قتل مهران وأخذ يُحفِّز جنده: إنْ تنصروا الله ينصركم ، حتى انهزم الفرس وفروا ، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وأخذ طريقهم ، فافترقوا بشاطئ الفرات ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جُثثاً فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمّة منها [5].

لقد انتصر جيش الحق على الفرس جيش المثنى الذي أظهر شجاعةً وفداءً في ذلك اليوم الحاسم ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه كان أشجع قائد شهدته الفتوح حتى أنه في شجاعته فاق شجاعة الأسد ، لِمَا فعله بجيش الفرس من قتل وتشريد وتأسير ، فهذا شاهد عيان ينقل لنا شجاعته في ذلك اليوم وما كان عليه إنه الأعور الشنّي[6] فقال [7]:

---

(١) هو الحتات بن ذريح ، استشهد يوم جسر أبي عبيدة . يُنظر: الإصابة: ٢/٥٨ .

(٢) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٤٦ .

(٣) الإصابة: ٢/٥٨ .

(٤) هو بالعراق بأحد من الفرات . يُنظر: معجم البلدان: ٢/٤٠٣ .

(٥) يُنظر: تاريخ الطبري: ٤/٧٤ – ٧٥ .

(٦) هو أبو مقدد بشر بن مقدد . يُنظر: الأنساب: ٣/٤٦٤ للإمام أبي سعيد سعد عبد الكريم التميمي السمعاني.

(٧) تاريخ الطبري: ٤/٧٧ .

هَاجَت لِأُعْوَرَ دَارُ الحيِّ أَحْزَانَـــا وَاسْتَبدَلَتْ بَعْدَ عَبدِ القَيسِ هَمْدَانَـــا
وَقَد أَرَانَا بِها وَالشَّـــمْلُ مُجْتَمِـــعٌ إِذ بالنُخَيلة قَتْلَـــى جُنْـــدُ مِـــهْرَانَا
أَزْمَانَ سَارَ المُثَنَّى بِـــالخيولِ لَـــهُم فَقُتِّل القَومُ من فُـــرسٍ وَجِيلَانَـــا
فَمَا لِمهرانَ والجيشَ الذي معـــهُ حَتَّى أَبَـــادَهُم مَثنـــى ووحدانَـــا
مَا إِنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا بِالعِرَاقِ مَضَـــىٰ مِثل المُثَنَّى الذي مِنْ آلِ شَـــيبانَا [1]
إِنَّ المُثَنَّى الأَمِير القَرْمَ لا كَـــذِبٌ فِي الحربِ أَشْجَعُ مِن لَيثٍ بِخَفَّانَـــا

وقد أُصيب المثنى بجراحات في المعركة الحاسمة التي هُزم فيها الفرس أستشـــهد منها "رحمه الله تعالى" ، فقد كان شجاعاً شهماً بطلاً ، ميمون النقيبة حسن الرأي والإمـــارة أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد [2].

وفي الجانب الأخر لهذه الفتوحات التي سيرها الخليفة عمر بن الخطاب كـــان لنـــا فيها قائد شجاع ابن قائد شجاع ، إنه سليمان بن خالد بن الوليد ، الذي خرج مجاهداً مـــع أبيه لتحرير أرض الشام من دنس الفرس والروم ، فسحقوا الأعداء في معارك كثيرة وهـم يُحرزون الانتصارات العديدة ، لكن هذه الانتصارات لكي تستمر لابد لها من تضحيـــات جسام تكون حافزاً لمواصلة الجهاد ضد الأعداء ، وفي إحدى المعـــارك التـــي خاضـــها المسلمون في فتوحاتهم للشام وانتصروا فيها ، تفقّدوا شهداءهم ، فوجدوا من بينهم القـــائد سليمان ، فتأثر المسلمون لاستشهاده لأنه كان شجاعاً شجاعةَ أبيه ، فهذا عمار بن ياســـر رفيقه في الجهاد وقد رأى شجاعته وأدرك قوتها في المعارك التي خاضها ، يصفـــها لنـــا فيقول ما أن يَسِلّ سليمان سيفه حتى تتراجع الأعداء خوفا منه حتى ولو كانت أعدادهـــم كعدد حبات الرمل الكثيب ، فقال[3] :

قَدْ كَانَ لَا يُفكِّـــر كُـــلُّ العِـــدَا إِنْ سَلَّ مِنْ غَمدٍ لِسيفٍ قَضيـــبِ
وَتَحْـــذَرُ الأَعْـــدَاءُ مِـــنْ بَأْسِـــهِ لَوْ أَنَّهُم أَعْدَادُ رَمْـــلِ الكَثيـــبِ

(١) الديوان الأحياء وردا مع نتفة الأبيات في أنباء العرب في الإسلام: ٢٣٨ .

(٢) ينظر: الإستيعاب: ١٤٥٦/٤ . والإصابة: ٤١/٦ .

(٣) فتوح الشام: ٢٦٣/٢ .

وهذا زياد بن المغيرة صديق سليمان ورفيقه في الجهاد ، تأثر لاستشهاده ، ونقل لنا جانباً من شجاعة هذا الفارس المغوار ، الذي ما أنْ يدخل ساحة المعركة حتى ترى الأعداء حوله وقد صرعهم بسيفه الصارم ، حتى أنّ الأعداء لا يفكرون في قتال أبطال المسلمين إذا ما رأوا سليمان قد احكم قبضته حول سيفه ، فقال [1]:

مُجَنْدل الفُرس في الهَيجَا إذا إجتَمَعَت ... وللصَّنَادِيدِ يومَ الحربِ خصامَا

لا يملُكُ الضد مِنْ أبْطَالِنَا أَمَلاً ... إنْ حَازَ سَاعِدهُ القصاص صَمصَامَا

يَا طُولَ مَا هَزَمَ الأَعداءَ بِصَارِمِهِ ... أَنَاهُمُ مِنْهُ تَنْكِيسًا وَارغَامَا

وَلمّا بلغ الخبر أباه حزن عليه واحتسبه عند الله تعالى ، فأثنى عليه وذكر محاسنه، وأشاد بشجاعته ، فهو فارس شجاع لا يعرف الخوف ، فقال [2]:

وَكَانَ كَرِيمَ العَم والخَال سَيِّداً ... إِذَا قَامَ سَوق الحَرْبِ لَا يَعرفُ الوَجَل

بأمثال هؤلاء الشجعان الذين نذروا أنفسهم لنشر رسالة الإسلام ، استطاع المسلمون من دحر الفرس والروم في معارك كثيرة ، فكانت حافزاً لأمير المؤمنين عمر لمواصلة الزحف نحو فارس والقضاء عليها ، فجهز لذلك جيشا كبيرا أمّرَ عليه القائد سعد بن أبي وقاص ، وأمره بالمسير نحو الفرس والقضاء عليها ، فسار جيش الإيمان والتقى بجموع الكفر والعدوان في القادسية ، فالتحم الجيشان وتبارز الفرسان في أكبر منازلة بين العرب المسلمين والفرس الكافرين ، فاثبت المسلمون فيها شجاعتهم وصدق عقيدتهم التي يقاتلون من أجلها ، ويسعون إلى نشر مبادئها إلى أرجاء العالم ، يستمدون العزم من الله تعالى ، آملين في الشهادة ، فهذا عمرو [3] بن معد يكرب يفاخر بشجاعته في هذا اليوم إذ تمكن من قتل القائد الفارسي مهران بفضل ساعده الذي حَملَ سيفه الصمصام الذي قطع به رؤوس الأعداء ، فقال [4] :

---

(١) فتوح الشام : ٢٦٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٦٧/٢ .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، شهد عامة فتوح العراق وأبى بلاء حسنا في موقعة اليرموك ، استشهد في معركة نهاوند في قرية الروذة . يُنظر: الإستيعاب: ١٢٠١/٣ ، والإصابة: ١٨/٥ – ٢١ .

(٤) شعره: ١٨٤ ، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي .

لَقَدْ عَلِمَت خيلُ الأَعَـاجِمِ أَنَّـني ... أَنَا الفَارِسُ الحَامِي إِذَا النَاسُ أَحْجَمُوا
وَإِنِّي غَـدَاةَ القَادِسِـيةِ إِذْ أَتَـوا ... بِجَمْعِهِم لَيْـثٌ هَصُـورٌ غَشَمْشَـمُ
شَدَدْتُ عَلَىٰ مَهرانَ لَمَّـا لقيتُـهُ ... بِكَفَّيَّ صَمْصَامِ العَقِيقَـةِ مِخْـذَمُ

فاستمرت هذه الحرب أربعة أيام تمكن فيها رجال العقيدة من سحق الفرس الأعداء، فكان النصر حليف المسلمين ، ففرح المسلمون بهذا النصر الذي أمدهم الله تعالى به ، لكنَّ هذه الفرحة لم تُنسي المسلمين شهداءهم الأبرار الشجعان الذين قاتلوا الأعداء بشجاعة الليوث ، فهذه خزانة [1] بنت خالد بن جعفر بن قرط وهي ممن حضر الحرب ، ترثيهم بشعر خلدت فيه شجاعتهم ، فقالت [2]:

هُمْ فتيةٌ غُرُّ الوُجُـوهِ أَعِـزَّةٌ ... ليوثٌ لَدَىٰ الهَيْجَا شعثُ الجَماجِمِ

بوجود هؤلاء الليوث البواسل واصل جيش الإسلام سيره الجهاد نحو هدم ملك الفرس والروم ، وفي كل معركة يخوض غمارها هذا الجيش تتجلى لنا نماذج الشجاعة والفداء ، ففي معركة نهاوند حمل المسلمون على أعدائهم الكافرين ، فاشتدت الحرب ، وتعالت صيحات الإيمان ، وتصافحت السيوف ، وتساقط الفرسان ، ولم يمنع اشتداد المعركة وانصراف المجاهدين إلى قتال الأعداء من أن يؤدي الشعر دوره في استنهاض الهمم وتوثيق شجاعة شهداء المسلمين [3]، فالقعقاع بن عمرو التميمي كان من الفرسان المجاهدين في تلك المعركة ، فرأى صديقه العزيز خالد بن يعمر التميمي يقاتل الفرس ويبلي بلاء الأبطال ، فأشاد بصنيعه هذا [4] فقال [5]:

حضَّضَ قَومي مَضْرَجيٌّ بن يَعْمَـر ... فَلِلَّهِ قَومِي حِينَ هَـزُّوا العَوَالِيَـا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَومَ سَارَتْ جُمُوعُنَا ... لِأَهل قُدَيـسٍ يمنَعـونَ المَوَالِيَـا

(١) يُنظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ٣٥١/١ ، عمر رضا كحّالة .
(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ٨٢ .
(٣) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ / ١٩٦ .
(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٢٣١ .
(٥) شعراء إسلاميون: ٥٠ .

لكن صديقه البطل سقط شهيداً ، فتأثر لمصرعه فاقسم يميناً صادقاً في الانتقام من الأعداء ، فقال [1]:

فَأَقْسَمْتُ لا ينفكُّ سَيفي يَحُسُّهُمْ فَإِنْ زَحَلَ الاقوامُ لم أتزحَّلُ

فاشتدت الحرب وحمي وطيسها ، والنعمان يتقدم الصفوف حاملاً راية المسلمين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فاستشهد النعمان "رحمه الله تعالى" من مصابه في هذه المعركة فكتموا أمر استشهاده ، فواصل المجاهدون تنفيذ واجبهم الجهادي بروح صادقة ، لأيمانهم بقيمة المبادئ التي يُجاهدون من أجل تحقيقها [2]، فهذا عمرو بن معد يكرب مجاهد شجاع أفنى شبابه في الجهاد في سبيل تعالى ، يقارع الأعداء ، ببدنه ورمحه ، إذا ما سمع نداء الجهاد سعى مُسرعاً ملبياً دون تردد ، فقال [3]:

أَعَاذِلِ عُدَّتِي بَزِّي ورُمحِي وَكُلُّ مقلّصٍ سَلِسِ القيادِ
أَعاذِلِ إنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي إِجَابَتِي الصَّرِيخَ إِلَى المُنَادِي
مَعَ الأبطالِ حتى سُلَّ جسمي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النِّجَادِ

وهاهو اليوم جنديا مجاهداً خرج مع جيش النعمان بن مُقرِّن ، وكيف لا يحضر وهو قد نذر نفسه للجهاد في سبيل الله تعالى ، فقاتل بكل شجاعة ، يصول على الأعداء ، فأصيب بجراحات يومئذ حتى كان الفتح والنصر للمسلمين ، إذ سرعان ما نال الشهادة من مصابهِ في المعركة فما كان من بعض شعراء الفتوح إلاَّ أَنْ يُخلد هذه الشجاعة فقال [4]:

لَقَد غَادَرَ الرُّكبانُ يومَ تحمّلوا بِرَوْذَة شَخْصَاً لاَ جَبَانَاً وَلاَ غَمْرَا

(إنَّ الغاية التي قاتل من أجلها المسلمون لم تكن عنصرية ، إنَّما هي غاية إنسانية تركب إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وإحقاق الحق ومحاربة الظلم) [5].

(فالعرب لم يفتتحوا بلاد فارس والروم ولم يدخلوها فاتحين ، وإنَّما كانت قوافل التحرير

---

(١) شعراء إسلاميون: ٤٦ .

(٢) يُنظر: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٤ .

(٣) شعره: ٩٥ .

(٤) الإستيعاب: ١٢٠٣/٣ ، البداية والنهاية: ١١٩/٧ .

(٥) الفروسية في أدب ق١هـ /٤٩ .

الإسلامية تحمل المبادئ الإنسانية الرفيعة ، وتنشر القيم الأخلاقية السامية ، وتُعيد إلى الإنسان كرامته في ظل الدعوة وحريته في نطاق الإطار العام ، ومنزلته في المجتمع الجديد) [1].فبلغ خبر الفتح والانتصار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحمد الله وأثنى عليه على هذا النصر ، فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية في زمنه على ما رأينا من كثرة الفتوحات التي نالها ، فكانﷺ مثال القائد الشجاع المحنك ، وقد رأينا حرصه على قيادة الجيوش بنفسه، ووصاياه لأمراء جيشه التي دلت على تأكيد القدرة القتالية للجند عن طريق بث الطمأنينة في قلوبهم بذكر الله وطاعته ، وحرصه على سلامة المسلمين ومتابعة أخبارهم . فنصر الله تعالى ، ومن ينصر الله ينصره ، ففتح عليه هذه الفتوحات الكثيرة ، لكن هذه الانتصارات لم ترضِ الفرسَ الذين رأوا زوال كيانهم على يد عمر ، فدبَّروا مكيدة لاغتياله ﷺ فكان ذلك على يد أبي لؤلؤة الذي ضربه بسكين ست طعنات[2]، لكن هذه العملية أثبتت للعالم مدى جبنهم ، وأثبتت شجاعة عمر الذي أمحى كيانهم ، وقلَّ جموعهم ، فما استطاعوا قتله مواجهة ، بل غدراً لأنهم أدركوا شجاعته وصولته ، فهو شجاع حتى في سكرات الموت ، فهو لا يخافه بل يخاف تراكم الذنوب ، وحاشاه من ذلك وهو فاروق الأمة ، فقال [3]:

وَمَا بِي خَوْفُ الموتِ إنِّي لميتٌ وَلَكِن خَوفَ الذنبِ يتبعهُ الذَّنب

فمت من مصابه شهيدا ﷺ لكن استشهاده لا يعني موت شجاعته التي عرفها الصحابة الكرام خاصة وأهل قريش عامة يوم أنْ (تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهُماً ، وأتىٰ الكعبة ، وأشراف قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلَّى ركعتين عند المقام ، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة ، فقال: شاهت الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه ، ويبتم ولده ، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي . فما تبعه منهم أحد) [4]. فهذه

(١) الأدب والالتزام: ٦٢ ، د. نوري حمودي القيسي .

(٢) يُنظر: الإستيعاب: ١١٥٢/٣ – ١١٥٧ .

(٣) التعازي والمراثي: ٢٢١ للمبرد ، تاريخ الطبري: ١٣/٥ .

(٤) تاريخ الخلفاء: ١١٥ – ١١٦ للسيوطي .

زوجته عاتكة تصفه لنا بالفارس المعلم يوم تهيج الجموع ويُسمع صليل السيوف ، فقالت[1]:

فَجعتني المنون بالفَارِس المقدَّم يَومَ الهَيَّاجِ وَالتَّذْبِيب

لَقَدْ أثبت المسلمون صدق إيمانهم منذ أن أعلنوا إسلامهم وهجروا أموالهم وأولادهم وزوجاتهم في سبيل الله تعالى ، وقاتلوا الأعداء مع رسول الله ﷺ الكافرين ، فنصرهم الله تعالى ، وحتى بعد وفاته فإنهم قد حملوا الرسالة الإسلامية من بعده وانطلقوا بها إلى أنحاء العالم وهم يخوضون المعارك بشجاعة وإيمان ثابت ، فكانوا خير الناس إسلاما ، واصدقهم قولا وطاعة لله ورسوله ، وأشجعهم قتالاً في ساحات الوغى ، فاصبحوا نماذج رائعة في الشجاعة يهتدي بها الخلف من بعدهم . فنعم هذا السلف الصالح الذي أقام على جثث شهدائه الأبطال الأبرار دولة الإسلام وأعلى راية الإيمان .

٢. الصبر :

الصبر قيمة خلقية تحلى واتصف بها العرب الذين اكتسبوها من معيشتهم في جزيرتهم ذات الطبيعة القاسية (فحرها لافح ، وماؤها قليل أو نادر ، وجبالها صلدة ، وعواصفها عاتية دائمة)[2] ، فهذه أجواء قاسية جافة لا يمكن لأحد أن يعيش تحت ظلها إلاَّ من كانت قدرته عالية على الصبر والتحمل ، ومن لم يستطع فهو أما هالك أو مهاجر، أمَّا العرب فقد تكيفوا مع بيئتهم وَأصبح صبرهم هذا جزءاً من تكوينهم الشخصي ، ومن بين هؤلاء العرب نبينا محمد ﷺ ، وصحابته الكرام الذين ولدوا ونشأوا وترعرعوا في شعاب مكة وضواحيها ، فتحملوا حرها اللافح ، وقلة مائها وصعوبة معيشتها حتى انسجموا مع هذه الظروف الصعبة وَأصبح الصبر جزءاً من طبيعة حياتهم اليومية ، فنحن نرى إن صبرهم هذا ليس فيه شيء من الخصوصية لهم بل هم فيه سواء مع غيرهم من العرب ، لكن غيرهم من العرب ليسوا معهم سواء في صبرهم الجديد الذي عرفوا وتميزوا به عن سائر العالم يوم أن بعث الله تعالى محمداً ﷺ ، وأرسله بـ (لا اله إلا الله محمد رسول الله) لينير بها العقول ويُطهر بها القلوب ويُحرر بها البشرية من الشرك

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧ .

(٢) الحي الحربي في صدر الإسلام: ٣٢ عبد الرؤوف عون .

وعبادة القوى الطبيعية [1] فبدأ ﷺ بالأقربين فآمن به صحابته الكرام وأصبحوا درعه الأمين من أذى قريش له ، فنصروه وعزروه متحملين اشد أنواع العذاب دون جزع أو قنوط ، فالصبر عندهم أصبح نفحة روحية تبعثها العقيدة السامية التي غرسها فيهم ﷺ فتخفف من أذى المشركين لهم ، وتدخل إلى قلوبهم السكينة والاطمئنان [2] ، فشعر كل واحد منهم بأنه لا حجاب بينه وبين الله تعالى ما عمل صالحاً وأطاعه ، فاستولى الإيمان على قلوبهم فجمعهم سواء كأنهم بنيان مرصوص يشدُّ بعضهم بعضا في مواجهة أعدائهم[3]، لكن لم (يكن من السهل أن تنساب نفحات الإيمان ودفقاته النورانية إلى نفوس كبار قريش التي أعماها الحقد وأضلها الغرور والتكبر الأحمق ، فراحت تُناصب الرسول ﷺ والمسلمين العداء واستخدمت كل الوسائل في ذلك) [4]. لكنَّ ذلك لم يكن ليُثني أو يقلل من عزيمة المصطفى ﷺ في تبليغ الرسالة لان الله تعالى أمره بالصبر ، وأخبره بأنَّ صبره إنَّما هو لله ﷻ ، قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[6].

فلمّا علم ﷺ أنّ صبره لله وأنّه في حفظ الله ، هانت عليه المصايب فكان نموذجاً للصبر ورمزاً لتحمل جحود المشركين وعنادهم الأعمى ، فازداد أذى قريش لهم ، فأمر رسول الله صحابته بالهجرة إلى الحبشة ومنها إلى المدينة المنورة التي شرفها المصطفى ﷺ بهجرته إليها مع رفيقه الصديق رضي الله عنه فكون دولة إسلامية ، منها تنطلق الدعاة ومنها تنطلق الجيوش الإسلامية ، فانتصروا في بدر على المشركين ، والتقوا مرة أخرى في أُحد وقريش يومها خرجت بعدد وعدة تفوق المسلمين ، فالتقى الجيشان وتلاحم

---

(١) يُنظر: تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي: ٢٢ ، د . شوقي ضيف .

(٢) يُنظر: الصبر (مقالة) ، ٤٣ ، نجاح عبادة محمد الكبيسي ، مجلة التربية الإسلامية ، ع ٨ ، السنة ٣٤ ، ١٩٩١ .

(٣) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣١ .

(٤) من سفر الإيمان والإرادة في الشعر وأثرهما في تحقيق النصر: ٥ .

(٥) سورة الطور: الآية ٤٨ .

(٦) سورة النحل: الآية ١٢٧ .

الفرسان ، فاشتدت المعركة وحمي وطيسها ودارت على المسلمين والصحابة* الكرام يقاتلون حول نبيهم دون تردد أو جزع بل بصبر وثبات غير آبهين للموت فهم رجال الصبر ، والصبر سجيتهم ، هذا ما أثبته كعب بن مالك فقال [1]:

بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفح من بَطن يَثْرِب ... صَبَرْنَا وَرَايَاتُ المَنِيَّة تَخْفِق

صَبَرْنَا لَهُمْ والصبرُ مِنَّا سَجِيَّة ... إِذَا طَارَت الأَبْرَام نَسْمُو وَنَرْتَقِق [2]

عَلَىٰ عَادة تِلْكُم جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا ... وَقِدْماً لَدَى الغَايَات نَجري فَنَسْبِقِ

مستمدين العزم من الله تعالى الذي أمرهم بالصبر والثبات عند ملاقاة العدو قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] .

ومن الذين ثبتوا حول رسول الله ﷺ وصبروا على قتال الأعداء طلحة [4] بن عبيد الله رضي الله عنه ، فقد أبلى يومئذ بلاء عظيما ، فوقى رسول الله ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شُلت ، وضُرِبَ على رأسه ، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره ، فقال الرسول الكريم في حقه: " من أحبَّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة" [5]. ولم يكن الشعر غائبا عن توثيق ثبات هذا الصحابي الجليل وصبره على تحمل ضربات الكافرين ، فهذا الصديق رضي الله عنه وهو ممن ثبت مع النبي ﷺ وجاهد الكفار يُصور لنا ثبات طلحة وصبره على الطعن والضرب الذي أصابه وهو يحمي رسول الله في ذلك اليوم ، فقال [6]:

---

* من الذين حاموا رسول الله ﷺ وثبتوا معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة رضي الله عنهم ، يُنظر: السير والمغازي: ٣٣٠ .

(١) ديوانه: ١٩٣ .

(٢) نرتق: نسد ونصلح ، والإبرام : اللئام . يُنظر: اللسان. ٣/١٥٧٧ (رتق) و ١/٢٦٨ (برم) .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، شهد أحدا وابلى فيها بلاء حسنا . يُنظر: الإستيعاب: ٢/٧٦٤ – ٧٧١ ، وأسد الغابة: ٣/٨٥ ، والإصابة: ٣/٢٩٠ – ٢٩٢ .

(٥) سنن الترمذي: ٥/٦٤٤ .

(٦) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : ١٣/٢٠٣ علي المتقي بن حسام الدين الهندي .

حَمَى نَبِيّ الهُدَى وَالخَيلُ تَتبعُهُ حَتَّى إذا ما لقوا حَامى عَن الدينِ
صَبْراً عَلَى الطَعْنِ إذ وَلَّت حماتُهم والناسُ من بين مَهْدِيٍ وَمُفْتُونِ

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، وهو أيضا ممن ثبت مع غيره من الصحابة حول رسول الله ﷺ ينقل لنا ثبات طلحة وصبره في قتال الأعداء وهو يحمي رسول الله ، فقال [1]:

حَمَى نَبِيّ الهُدَى بالسيفِ مُنصلتاً لَمَّا تَوَلَّى جميع النَّاس وانكَشَفُوا

وبعد الصديق والفاروق يأتي أثر شاعر الإسلام والمسلمين حسان بن ثابت الأنصاري لكي ينقل لنا ذلك المشهد ، فيقول [2]:

وَطلحةُ يَومَ الشِّعب آسى مُحمَّداً عَلَى سَاعَةٍ ضَاقَت عَلَيه وَشَقَّتِ
يَقيهِ بِكَفّيهِ الرِّماحَ وَأَسْلَمَتْ أَشاجِعُه تحت السيوفِ فَشُلَّتِ

هذا هو الصبر الجديد الذي اتصف وعرف به المؤمنون المجاهدون ، فهو جزء مهم من عقيدتهم ، قال ﷺ : { الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله } [3]، وهذا اليقين وهذا الإيمان لابد له من عمل يثبت صحته فكان (الصبر هو الجانب التطبيقي العمل لهذا اليقين) [4]، فأثبت الصحابة الكرام صدق إيمانهم يوم جهادهم حول رسول الله ﷺ صابرين ثابتين في قتال الأعداء ، وهم كذلك حتى فازوا بالشهادة ، ولم يكن صبر هؤلاء الشهداء غائبا عن شعراء الدعوة الإسلامية الذين نزلوا إلى (الساحة مقاتلين ومدافعين ، موجهين ومرشدين ، يستمدون العزم من سلامة الدعوة ، ويستلون الحجج من دستورها المبين ، مبطلين الحجج ومفندين الأدلة) [5]، فهذا حسان بن ثابت

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١٣/٢٠٣ .
(٢) المصدر نفسه . وقد خلا منهما ديوانه .
(٣) المستدرك على الصحيحين: ٢/٤٨٤ ، بمجمع الزائد: ١/٥٧ باب في كمال الإيمان .
(٤) الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام: ١١٣ ، اطروحة دكتوراه – معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا – حازم عبد القهار الراوي ، ١٩٩٥ .
(٥) الأدب والالتزام: ٦٠ .

يرد على عبد الله بن الزبعرى الذي فخر بمقتل الأوس وبني النجار في معركة أحد [1] ، وعدّه نصراً لهم وأخذاً بثأر قتلاهم يوم بدر ، فردّ عليه حسان بقصيدة رثى بها هؤلاء الشهداء وبين فيها كيف (أن الأنصار من الأوس والخزرج قد باعوا أنفسهم لله ثم فداءً لرسول الله ﷺ وصبروا على الجهاد في سبيل الله يرجون الدرجات العُلى من الله القدير ﷻ فلم يخذلوا رسول الله ﷺ بل نصروه وأيدوه ، وهم بصنيعهم هذا إنما يُعبرون عن صدق في الوفاء للدين الإسلامي ، وهو وفاء يقابله عند المشركين كفر بالله ، وشتان بين عبد وفي وكافر) [2]، فقال [3]:

وَقُل إِنْ يَكُن يَوْماً بِأُحْدٍ يَعُدُّهُ ... سَفيهُ فَإِنَّ الْحقَّ سَوْفَ يَشِيعُ

وَقَد ضَارَبَتْ [4] فيه بَنُو الأَوْسِ كُلُّهُم ... وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ

وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَضَارَبُوا [5] ... وَمَا كَانَ مِنْهُم فِي اللِّقَاءِ جَزُوعُ

أَمَامَ رَسُولِ اللهِ لَا يَخْذُلُونَهُ ... لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِم وَشَفِيعُ

وَفَوا إِذ كَفَرْتُم يَاسَخِينَ [6] بِرَبِّكُمْ ... وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ عَصَيٌّ وَمُطِيعُ

إنَّ المجاهدين المسلمين هم قبل كل شيء دعاة إلى الله تعالى ، وفي جهادهم يدعون وفي سلمهم يدعون ، وفي ترحالهم يدعون ، ومن يقوم على هذه الدعوة لابُدَّ أن يكون الصبر زاده وعتاده ، والصبر جنته وسلاحه ، والصبر ملجؤه وملاذه [7]. ولا نُبالغ إذ قُلنا إنَّ صحابة رسول الله ﷺ كان هذا حالهم مع الصبر عندما يخرجون دعاةً في سبيل الله ، ومن هؤلاء الدعاة وفد الرجيع الذين أرسلهم رسول الله ﷺ دُعاة في سبيل الله يعلمون

---

(١) يُنظر: الأشعار التي قالها في السيرة: ١٤٩/٣ .

(٢) دراسات في ادب الدعوة الإسلامية : ٢٣٩ .

(٣) ديوانه: ٣٣٧ .

(٤) في السيرة النبوية: ١٥٠/٣ صابرت .

(٥) في المصدر نفسه: صابروا .

(٦) سخين : مرحم سخينة وهي طعام كان يؤكل في شدة الدهر وغلاء السِّعر ، وعجف الماء فكانت قريش تكثر من أكلها فعُيّرت بها حتى سموا سخينة . يُنظر: اللسان: ١٩٦٦/٣ (سخن) .

(٧) يُنظر: في ظلال القرآن ، مجلد ٨ /٢٩ – ٢٣٠ .

الناس شرائع الإسلام ويفقهونهم في أمور دينهم ، فاستجابوا لأمر الرسول الكريم ، كيف لا يستجيبون وغايتهم نشر هذا الدين العظيم ، هذا ما أكده كعب بن مالك فقال [1]:

لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا ... بِكَفِّك فاهدنا سُبُلَ الرَّشَادِ

وفي طريقهم وعند وصولهم إلى ماء الرجيع حانت ساعة الاختبار ، اختبار الإيمان الصادق ومدى رسوخه في قلوب المؤمنين ، فقد غدر بهم الوفد الذي جاء في طلبهم فاستصرخوا عليهم القبائل ، فقالوا لهم إنا لا نريد قتالكم ولكن نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، لكن أصحاب رسول الله أعزاء ، أعزهم الله بهذا الدين ، فلا يقبلوا إلا بالنصر أو الشهادة ولا شيء غير ذلك ، فثبتوا على دينهم وهم يومئذ ستة نفر ، فأما مرثد ابن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقاتلوا وصبروا على القتال حتى رزقهم الله تعالى الشهادة أعزاء وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق ، فقد أسروهم وأخذوهم ليبيعوهم في مكة ، وفي الطريق انتزع عبد الله يده من وثاقه وأخذ سيفه ليقاتل فرماه المشركون بالحجارة حتى قتلوه شهيداً "رحمه الله" [2] ، وأما زيد وعدي فشاء الله تعالى أنْ يباعا إلى أعداء الإسلام ليختبر صدق إيمانهما وثباتهما عليه بطريقة غير القتال ، ألا وهي قدرة التحمل والصبر على تعذيب المشركين لهم ، فعندما أرادوا أنْ يقتلوا زيد بن الدثنة ، قالوا له: (ارجع عن دينك المحدث واتبع ديننا ونرسلك قال: لا والله لا أفارق ديني أبدا . قالوا: أيسرك أنَّ محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك ؟ قال: ما يسرني أنَّ محمداً أشيك بشوكة وإني في بيتي . قال أبو سفيان بن حرب: لا ، ما رأينا أصحاب رجل قط أشد حباً من أصحاب محمد بمحمد) [3] فقتلوه رضي الله عنه إنَّه صدق الإيمان الذي وقر في القلب فتكلم به اللسان وعملت به الأركان ، وَأَمَّا خبيب بن عدي فأخذوه مقيداً إلى التنعيم ليقتلوه ، فطلب منهم أنْ يصلي ركعتين فصلى ، ثم اقبل على القوم فقال: أَمَا والله لولا أنْ تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا ،

---

(١) ديوانه: ١٦٣ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية: ١٧٩/٣ – ١٨٠ .

(٣) المغازي: ٣٦٢/١ . ينظر: السيرة النبوية : ١٨١/٣ .

واقتلهم بددا ، ولا تُغادر منهم أحدا [1]، فشرعوا في تعذيبه ﷺ فأخذوا يُقطعون لحمه ، ظانين انهم بفعلهم هذا سوف يستطيعون مساومته على ترك دينه ، لكنهم خابوا وخسئوا فهو مؤمن صادق لا يرضى المساومة على دينه ولا يتنازل عن عقيدته مهما فعلوه به ، فهو صابرٌ على هذا الأذى ، قد جعل من الصبر جنته وسلاحه ، وملجأه وملاذه ، فان قُتِل فهو شهيدٌ في سبيل الله تعالى [2]، وقبيل استشهاده وفي لحظاته الأخيرة انشد هذه الأبيات التي وثق بها حاله عندهم ، حتى تكون موعظة وعبرة للدعاة المسلمين ، فقال [3]:

لَقَد جَمَّع الأَحْزابُ حَوْلي وَألبَوا ... قَبَائِلَهُم واستَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وَكُلّهُمُ مُبدِي العَدَاوَة جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لأني في وِثَاقٍ بِمَضْيَعِ
وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُم وَنِسَاءَهم ... وقُرِّبتُ مِن جِذْعٍ طَويلٍ مُمَنَّعِ
إلى الله أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وَما أَرْصَد الأَحْزَابُ لي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا العَرْشِ، صَبِّرني عَلَىٰ مَا يُرادُ بي ... فَقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وَقَد يأس مَطْمَعِي
وَذَلكَ في ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَال شِلْوٍ مُمَزَّعِ
وَقَد خَيَّروني الكُفْرَ والموتُ دونَه ... وَقَد هَمَلَتْ عَيْنَايَ من غَيرِ مَجْزَعِ
وَمَا بي حِذَارُ المَوتِ، إِنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِن حِذَاري جَحْمَ نَارٍ مُلفَّعِ
فَوَاللهِ مَا أرجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمَاً ... عَلَىٰ أَيِّ جَنْبٍ كَانَ في الله مَصْرَعِي
فَلَسْتُ بمبدٍ لِلعدوِّ تَخَشُّعَاً ... ولا جَزِعَاً إني إلى الله مَرْجِعِي

إنَّ موقف خبيب هذا يُثير العجب ، ويدعو إلى الدهشة ، عندما تحمل هذا الأذى والعذاب وهو ثابت صابرٌ على ذلك دون جزع أو خوف وهو في بداية إسلامه . إنها

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية : ٣/١٨١ – ١٨٢ .

(٢) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٨٠ د. سامي مكي العاني .

(٣) السيرة النبوية: ٣/١٨٥ – ١٨٦ . يُنظر: الإستيعاب: ٢/٤٤١ ، أُسد الغابة: ١٢١ – ١٢٢ ، يُنظر: نهاية الارب: ١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية: ٤/٦٤ ، حياة الصحابة: ١/٥٤١ – ٥٤٢ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين : ٧٥ . شعر أيام الاسلام ، من الهجرة النبوية حتى نهاية حروب الردة ١٢ هـ (دراسة تحليلية توثيقية – جمع وتحقيق) : ١٥٣ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ناهي ابراهيم العبيدي ، ١٩٩٥ .

العقيدة الصادقة التي غيرتهم وأبدلتهم خلقا آخر [1] ، فاثبت صحابة رسول الله ﷺ صدق إيمانهم وثباتهم على دينهم الحق .

كذلك كانوا ﷺ يتسابقون في تلبية نداء رسول الله ﷺ إذا ما سيرهم أو أمرّهم في جيش يسعى لتحقيق نشر الرسالة الإسلامية ، وكل قائد يخرج لهذه المهمة نرى الصبر عنده زاده وعتاده ، ومن لا يملك الصبر لا يستطيع مواصلة القتال ضد الأعداء ، فكان قادة مؤتة ﷺ ممن تحلوا بالصبر وجعلوا منه سلاحهم وهم يقاتلون الأعداء ، ولولا الصبر ما استطاعوا مواصلة القتال ، لان الصبر هو أساس الشجاعة ، وهي منه تولد [2]، فهذا كعب بن مالك يصور لنا صبر هؤلاء القادة الثلاثة وهم يقاتلون الأعداء فقال وهو يدعو له برحمة الله تعالى الواسعة ، فقال [3]:

صَلَّى الإِلهُ عَلَيْهِمْ مِن فِتْيَةٍ ... وَسَقَىٰ عِظَامهمُ الغمامُ المُسْبِلُ

صَبَرُوا بِمُؤْتَةَ لِلإِلهِ نفوسَهُم ... حذَرَ الرَّدَى وَمخافةً أَنْ يَنْكُلُوا

ومن هؤلاء الذين أظهروا صبراً عجيباً يفوق الخيال جعفر بن أبي طالب ﷺ فعندما استشهد زيد بن حارثة أخذ الراية وتقدم بها نحو الأعداء يُقاتلهم وكان اللواء يومئذ بيمينه فقطعها العدو فلم يجزع من مصابه بل صبر على ذلك واحتسبها في سبيل الله تعالى، فأخذها بشماله وهو يتقدم الصفوف ، وسرعان ما قُطِعَتْ الشمال لتلحق بأختها اليمنى ، فهل سيواصل جعفر مسيرته ويصبر على فقده كلتا يديه أو انه سيجزع ويتراجع؟ بل صبر على ما فقد واحتضن الراية بعضديه وواصل تقدمه نحو الأعداء ، وما تقدمه هذا إلاّ ثمرة من ثمار الصبر [4]، فما زال حاملا راية المسلمين حتى استشهد ﷺ فهذه زوجه

(١) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٨٠ ، د. سامي مكي العاني .

(٢) يُنظر: فصول في الامرة والامير: ٢٢ .

(٣) ديوان كعب: ٢٠٥ .

(٤) يُنظر: فصول في الامرة والامير: ٥٧ .

أسماء بنت عميس [1] تؤكد لنا صبره هذا حين قاتل براية المسلمين وهو يتقدم الصفوف ، فقالت وهي تبكيه [2]:

فَآليت لا تَنْفَكُّ نَفْسِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا
فَللَّهِ عَيْناً مَنْ رَأَىٰ مِثْلَهُ فَتىً ... أَكَرَّ وَأَحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأَصْبَرَا

إِنَّ وضوح الغاية التي يقاتلون من أجلها وهي إعلاء راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله جعلتهم يواجهون أقدارهم بروح ملؤها العزيمة والصبر دون أنْ تهزها المواقف العصيبة أو اللحظات الحاسمة [3]، فبنو سُليم كان لهم موقف مشرف في معركة حنين ، إذ ثبتوا مع رسول الله ﷺ في جهادهم الأعداء بقودهم الضحاك فقاتلوا وقُتل منهم من قُتل ، فما تقهقروا ولا ترددوا بل صبروا وثبتوا وهم يُدافعون عن الإسلام والمسلمين ، فما كان لديوان مجد العرب وسجل حروبهم إلَّا أنْ يوثق هذا الموقف المشرف لبني سليم وقائدهم في صبرهم وثباتهم مع رسول الله ﷺ قال العباس بن مرداس [4]:

وَيَوْمَ حُنَين حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ ... إِلينَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لا يَستفزُّنَا ... قِرَاعُ الأَعَادِي مِنْهُمُ وَالوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا ... لواءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحابة لامِعُ
عَيشةَ ضَحَّاكُ بن سُفْيَانَ مُعْتَصِ ... بِسَيفِ رَسُولِ اللهِ وَالمَوتُ كَانِعُ[5]
نَذُود أَخَانَا عَنْ أَخِيْنَا وَلَو نَرَىٰ ... مَصَالاً لَكُنَّا الأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ

إِنَّ صبر المجاهدين وثباتهم على دينهم لازمهم طيلة مسيرتهم للجهاد ، لم يضعف ولم يتغير حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ وكيف يضعف وهو جزء من عقيدتهم ، يضعف

---

(١) هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك ، كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها، فولدت له هناك محمدا أو عبد الله وعونا . يُنظر: الإستيعاب: ٤/١٧٨٤ – ١٧٨٥ ، وأسد الغابة: ٧/١٤ – ١٥ ، والإصابة: ٨/ ٨ – ٩ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ٧٢ .

(٣) يُنظر: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٥ .

(٤) ديوان : ٨١ – ٨٢ .

(٥) كانع: دان . يُنظر: اللسان: ٥/٣٩٣٩ (كنع) .

إذا ضعف إيمان المؤمن ، وقوته من قوته ، قال الإمام علي ﷺ مُبينا أهمية الصبر وارتباطه بالإيمان: (أَلاَ إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ... ، أَلاَ إنَّه لا إيمان لمن لا صبر له) [1]، لكن أصحاب رسول الله ﷺ اثبتوا صدق إيمانهم يوم أن صبروا وتمسكوا بدينهم في أشد المواقف وأصعبها ، فعندما تُوفي ﷺ ارتدت بعض القبائل ، وثبتت أخرى ، وكان لبعض المؤمنين أثر في ثبات بعض هذه القبائل ، فهذا الجارود [2]ممن أسلم على يدي النبي محمد ﷺ وثبت على إسلامه حتى بعد وفاته عليه السلام ، فكان له دورٌ مهم في ثبات عبد قيس وهي من القبائل التي تسكن البحرين [3]، فبعد أن بلغهم وفاة النبي ﷺ قالت: لو كان محمد نبياً لما مات ، فقام فيهم خطيبا فقال: يا معشر عبد القيس ، إنِّي سائلكم عن أمرٍ فاخبروني به إنْ علمتموه ولا تجيبوني إنْ لم تعلموا ، قالوا: سل عمَّا بدا لك ، قال: تعلمون أنَّه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا: نعم ، قال: تعلمونه أو ترونه ؟ قالوا: لا ، بل نعلمه قال: فما فعلوا ؟ قالوا: ماتوا ، قال: فإنّ محمداً عبده ورسوله ، قالوا: ونحن نشهد أنَّ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنت سيدنا وأفضلنا ، وثبتوا على إسلامهم [4].

لكن هذا الثبات أزعج بقية القبائل التي ارتدت عن دينها ، فخرج الحُطم بن ضُبيعة فيمن تبعه من بكر بن وائل على الردة ، واجتمع إليه أيضا من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا حتى نزل القطيف وهجر [5]، ثم حاصر الجارود ومن معه من المسلمين في

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ٨١ ابن قيم الجوزية .

(٢) هو الجارود بن المعلى ، ويقال ابن عمرو بن المعلى ، وقيل الجارود بن العلاء ، وقيل اسمه بشر بن حبش ، وكان نصرانيا وفد على النبي ﷺ في وفد عبد القيس وسر النبي بإسلامه ، وكان حَسُن إسلامه ، وهو صهر أبي هريرة ﷺ ولُقب بالجارود لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم فقال الشاعر:

مذ سناهم بالخيل من كل جانب كما جرّد الجارود بكر بن وائل

وقيل لُقب بذلك أن بلاد عبد القيس أجدبت وبقي للجارود بقية من ابله فتوجه بها إلى بني قديد بن شيبان وهم أخواله فحربت ابل أخواله ، فقال الناس: جرَّدهم بشر ، فلقب بذلك ، وقتل بأرض فارس سنة إحدى وعشرين من خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ . يُنظر: الإصابة: ٢٢٦/١ .

(٣) يُنظر: معجم البلدان. ٨٤/٣ .

(٤) يُنظر: تاريخ الطبري : ٢٥٤/٣ ، ويُنظر: أيام العرب في الإسلام: ١٧٦ – ١٧٧ .

(٥) الهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين . يُنظر: معجم البلدان: ٤٦٨/٨ – ٤٦٩ .

جؤاثى[1]، واشتد عليهم فما ارتدوا عن دينهم بل ثبتوا وصبروا على قتالهم حتى سالت دماؤهم من كل فج وبدت كأنها شعاع الشمس من كثرتها ، فما زادهم ذلك إلاّ صبراً وثباتاً على دينهم ، مستمدين العزم من عند الله تعالى، فهذا شاعرنا عبد الله بن حدق يصور لنا صبرهم وثباتهم ، فقال [2]:

أَلاَ أَبْلِغ أَبَا بَكْـــرٍ رَسُـــولاَ ... وَفِتْيَـــانَ المدينَـــةِ أَجْمَعِيْنَـــا
فَهَل لَكُم إِلىٰ قَـــوْمٍ كِـــرَامٍ ... قُعُودٍ فِي جُؤَاثَـــى مُحْصَرِينَـــا
كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ فِي كُـــلِّ فَـــجٍّ ... شُعَاعُ الشَّمْسِ يَغْشَى النَّاظِرِينَا
تَوَكَّلْنَا عَلَىٰ الرَّحْمَـــنِ إِنَّـــا ... وَجَدْنَـــا الصَّـــبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَـــا

ولأهمية الصبر كان المجاهدون يتواصون به في معاركهم التي يخوضون غمارها ضد أعداء الإسلام ، فإذا ما رأى أحد المقاتلين أن عدوهم قد نال منهم قام خطيبا في المجاهدين مذكرهم الصبر والثبات في القتال ، ففي إحدى معارك المسلمين التي خاضوا غمارها ضد أعدائهم الفرس والروم المغتصبين أرض الشام العربية ، دعا أبو عبيدة ضرار بن الأزور وضم إليه مائتي فارس وأمره بالمسير لقتال الأعداء ، وفي الطريق باغتهم العدو الهجوم ، فصاح ضرار وقال: يا فتيان العرب إِنَّ أَعداءكم قد هاجموكم على حين غفلة منكم ، وَإِنَّ هذه أَفضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تفشلوا فأَنتم تعلمون أَنَّ النبيﷺ قال: " الجنة تحت ظلال السيوف " [3]، وقد قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [4] فلما سمع ربيع بن معمر بن أبي عوف ابن عمر بن ربيعة ، ضراراً وهو يحرض المسلمين قال: يا فتيان المسلمين لن تنالوا الجنة إلاّ بالصبر على المكاره ، ووالله لَنْ يدخلها من هو للجهاد كاره ، فقال [5]:

---

(١) جُواثاء: هو حصن لعبد القيس بالبحرين . يُنظر: معجم البلدان: ٨٤/٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٥٦/٣ ، الكامل في التاريخ : ٣٦٨/٢ – ٣٦٩ .

(٣) صحيح مسلم: ١٣٦٢/٣ .

(٤) سورة البقرة: من الآية ٢٤٩ .

(٥) فتوح الشام: ٢٦٨/١ .

وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ وَلَكِنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

وأعلى الدرجات درجة الشهادة ، فارضوا عالم الغيب والشهادة ، فهذا الجهاد وقد قام على ساقه وكسر النفاق في أسواقه واختفى بنفاقه في أنفاقه أمَّا انتم أصحاب بني العصر ؟ وَلِمَ يَنستم من الثبات والنصر ؟ ... ، وَإِيَّاكم أنْ تولوا الأدبار فتستوجبوا غضب الجبار ، واعلموا أنَّ النصر والثبات ضدان منصوران فمن طلب دار البقاء هان عليه الملتقى فصححوا طلبتكم تنالوا رحمة ربكم ، وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم ، واطعنوا النحور تنالوا الحور وتسكنوا القصور ، وقوموا الأَسنة تنالوا الجنة واعتمدوا على الصبر تنالوا النصر ، ... فحمل الجند المسلمون على الأعداء [1]، فتقدم المقاتلون وهم يجودون بنفوسهم في سبيل الله تعالى ، فجرت الحرب بما يوصف وضرار فيهم كأنه النار في الحطب اليابس [2]، هكذا يؤدي الصبر دوره في الهاب حماس المجاهدين وتعزيز روح الاندفاع في نفوسهم لمواصلة الجهاد وقتال الأعداء أملاً في نيل الشهادة لذلك نرى أحدهم يفقد أجزاءً من جسده دون أنْ يجزع أو ينقهقر بل نجده صابراً يُعاني آلامه فيَ صمت وسكون [3]، لأنه جعل من الصبر دواء لجراحه، ولعل موقف حياض القشيري [4] هو خير شاهد على ذلك ، يوم أنْ شارك في معركة اليرموك [5] ضد الغزاة الروم ، فقاتل الأعداء بشجاعة وثبات وظل يقاتل حتى فقد رجله ، فلم يجزع ولم يتردد عن مواصلة القتال ، بل واصل تقدمه مُصَبِّرًا نفسه على ما أصابه ومرغبها في الجهاد فهو فارس شجاع ، فانشد قائلا [6]:

أَقْدِمِ حَذَامِ إِنَّمَا الأَسَاوِرَهْ وَلَا تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ

أَنَا الْقُشَيْرِيُّ أَخُو الْمُهَاجِرَهْ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رؤوس الكَافِرَهْ

---

(١) يُنظر: فتوح الشام: ٢٦٧/١ – ٢٦٨ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٩/١ .

(٣) يُنظر: البطولة في الشعر العربي: ١٤ ، د. شوقي ضيف .

(٤) هو حياض بن قيس بن الاعور بن قشير بن كعب القشيري . الإصابة: ٦٨/٢ .

(٥) كانت للعرب على الروم سنة ١٣هـ ، واليرموك واد بناحية الشام ينتهي إلى نهر الأردن . ينظر: تاريخ الطبري: ٣٢/٤ – ٤٧ ، والكامل في التاريخ: ٤١٠/٢ ، ومعجم البلدان: ٤٩٩/٨ .

(٦) الإصابة:: ٦٨/٢ .

فاستشهد من مصابه "رحمه الله تعالى" فافتخر به المسلمون وجعلوا منه مثالاً للصبر والإقدام فهذا سوار بن أبي أوفى يفتخر به قائلا [1]:

وَمِنَّا ابن عِتَّاب وَنَاشِدٌ رِجْلَه ... وَمِنَّا الذي أَدَّى إِلى الحي حَاجبَا

فالصبر له أثره المهم في حسم المعارك حتى قيل إنّ (النصر مع الصبر)[2]، فكان وصية الخلفاء لإمراء الجيوش ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يوصي سعد ابن أبي وقاص ،لذي أمرَّه على جيش المسلمين الذاهب إلى قتال الفرس في القادسية ، فقال له: (إنِّي وليتك حَرْبَ العراق ، فاحفظ وصيتي فإنَّك تُقدم على أمر كريه شديد لا يخلِّص منه إلاَّ الحق ، فَعَوِّد نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به واعلم أَنَّ لكل عادةٍ عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله . واعلم أَنَّ خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته وفي اجتناب معصيته وَإِنَّما أُطاعهُ من أَطاعهُ ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، ... ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يُشرع معك في أمرك) [3]. فالتقى الجيشان وتصافحت سيوف الفرسان ، وطالت أيام المعركة ، ومن لم يجعل الصبر زاده فيها فلا يستطيع مواصلة القتال لان أي زاد دون الصبر ينفد ، فهذا عمرو بن معد يكرب استطاع مواصلة قتال الأعداء لأنه اتخذ من الصبر زاداً أمدَّه بقوة لمواصلة قتالهم ، فاستطاع طعنهم بالرمح ، وضربهم بالسيف حتى تبدد جمعهم ، وما ذلك كله إلاَّ بفضل الصبر ، قال [4]:

صَبَرْتُ لِأَهْلِ القَادسية مُعْلما ... وَمِثلي إِذَا لَم يَصْبِرِ النَّاسُ يَصبِرُ

وَطَاعَنْتُهُم بالرُّمحِ حَتَّى تبَدَّدُوا ... وَضَارَبْتُهُمْ بِالسَّيفِ حَتَّى تَكَسَّرُوا

---

(١) الإصابة: ٦٨/٢ .

(٢) عيون الاخبار: ٢٠٦/١ لابن قتيبة الدينوري .

(٣) تاريخ الطبري : ٨٥/٤ .

(٤) شعره: ١٧٨/٥ .

وهذا عفاق واحد من عشرة اخوة من بني كاهل يُقال لهم بنو حرب خاض المعركة وكان يُصبّر نفسه على شدتها وقسوتها ، فهو فارس شجاع وبيده صارم رقراق فلا يهاب الموت ، فقال [1]:

أَنَا ابنُ حَرْبٍ وَمَعِي محراقي ... أَضْرِبُهُم بِصَارِمٍ رَقْرَاقِ

اذكُرُه الموت أَبُو اسحَاق ... وَجَاشَتْ النَّفسُ عَلَى التَرَاقِي

صَبْرَاً عفاق إنَّه الفِرَاق

وما زال يُقاتل الأعداء حتى قُطعت رجله ، لكنه لم يُعر لها بَالاً فواصل تقدمه نحو الأعداء صابراً على ما أصابه ، فانشد [2]:

صَبْرَاً عفاق إِنَّمَا الأَسَاوِرَهْ ... صَبْرَاً وَلا تَغْرُرْكَ رِجلٌ نَادِرَهْ

فمات شهيدا من مصابه " رحمه الله تعالى " [3].

وَيُطْعَن علباء بن جحش العجلي في بطنه فتتدلق أمعاؤه ، لكنه لم يجزع ولم يتردد عن مواصلة القتال ، بل صبر على ذلك محتسبا ما أصابه في سبيل الله تعالى [4]، فلم يتوانَ عن قتال الأعداء فانشد وهو في أنفاسه الأخيرة [5]:

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنَا ثَوَابَا ... قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضِرَابَا

هكذا هم مجاهدوا صدر الإسلام ، وهذا هو حالهم مع الصبر ، به تحملوا أذى قريش ليثبتوا على دينهم ، وبه قاتلوا الأعداء وانتصروا عليهم وواصلوا تقدمهم نحو الأعداء حتى أنالهم الله تعالى رقابهم ، وما كان هذا كله ليتم لهم لولا صبرهم الذي تعلموه من مدرسة الإسلام ، مدرسة رسول الله ﷺ فهو قدوتهم في الصبر في سبيل الدعوة الإسلامية .

---

(١) تاريخ الطبري : ١٢٩/٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٩/٤ .

(٣) يُنظر: المصدر نفسه .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ١٧٠ د. سامي مكي العاني . وشعر العقيدة: ١٧٥ ، ونظرات في شعر صدر الإسلام: ٦٢ .

(٥) تاريخ الطبري : ١٢٢/٤ .

٣. الإقدام :

لون من ألوان البطولات التي تحلى واتصف بها شهداء صدر الإسلام في حروبهم مع رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده ، فهم حين يخوضون ساحات الوغى لا ينتظرون قدوم العدو نحوهم فَيَقْتُلُهُم دون أَنْ يُقَاتِلُوه ، بل كانوا يتقدمون الصفوف ويحملون الراية ويُقاتلون الأعداء حتى النصر أو الشهادة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (١) فنحن نرى أَنَّ الله تعالى قد قدم قِتَالهم في سبيل الله تعالى الأعداء فَيَقْتُلونه وَيُقتَلُهُم ، فقدَّم قَتْلَهُم الأعداء قبل قَتْلِ الأعداء لهم ، فهذا دليل على شجاعة الشهداء وإقدامهم نحو العدو ، فهم يُعاجلونه ويسبقونه في القتل ولا ينتظرون منه ذلك ، وسيتضح لنا ذلك من خلال أمثلة من شعرهم تُبين لنا إقدامهم نحو العدو عاكسين لنا ثقتهم بالله تعالى الذي ينصرهم على عدوهم ، فكانت غزوة بدر التي التقى فيها الفريقان ، فريق الحق والإيمان وفريق الكفر والإلحاد على غير موعد مسبق بينهما لتظهر حكمة الله تعالى لأهل البصيرة في كل زمان ومكان، وهي أَنَّ أسباب النصر ليست بأسبابها المادية الظاهرة ، بل في جوهرها وحقيقتها ، في الإيمان الصادق والتوكل على الله تعالى (٢)، فعندما دعا عتبة إلى المبارزة ، خرج إليه عبيدة وعلي وحمزة ، مُلبين هذا النداء لأنَّ المبارزة قيمة (خلقية تمسك بها فرسان العرب) (٣)، فهذا عبيدة يصور لنا استجابتهم لنداء المبارزة فتقدموا طائعين راغبين غير مُكْرَهين ، فهم أُسود تقاتل في سبيل الله تعالى فما زالوا يُقاتلون حتى قتلوا أعداءَهم ، فقال(٤):

وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قِتَالُهُم ... غَدَاةَ دَعَا الأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا

وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَاءنا ... ثَلاثَتُنَا حَتَّى حَضَرْنَا المُنَادِيَا

لَقِينَاهُم كَالأُسْدِ تَخْطِرُ بِالقَنَا ... نُقَاتِلُ فِي الرَّحمنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٢) يُنظر: رياض الفاتحين ومسار السالكين: ٢٨٤ .

(٣) الفروسية في أدب ق١هـ /٧٥ .

(٤) السيرة النبوية : ٢٥/٣ ، الروض الأنف: ٣٣٠/٥ ، البداية والنهاية: ٣٣٧/٣ ، شعراء الرسول: ٢٦٣ .

فما بَرَحتْ أقدامنـــا مـــن مقامنـــا ثلاثتنا حتى أُزيـــروا المنـــــائيَا

ثُمَ خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم ، وقال: " والذي نفس محمد بيـده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً ، مقبـلا غير مدبر ، إلّا أدخله الله الجنـــة " (١). فقال عُمير بن الحمام أخـو بني سلمة ، وفي يـده تمرات يأكلهن: بخ بخ ، أفمـــا بينـــي وبين أنْ أدْخُل الجنة إلّا أنْ يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وانطلـق نحو الأعداء يُقـاتلهم يبغي ما عنـد الله تعالى (٢)، فارتجز قائلا (٣):

رَكْضَـــاً إلى الله بغَـــيرِ زَادِ إلّا التُّقَـى وَعَمَـــلَ المَعَـــادِ

وَالصَّبر في اللهِ عَلَىٰ الجِهَـــادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةَ النَّفـــــادِ

غَيـــرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَـــادِ

فقاتل الأعداء حتى قُتِل ﷺ فقد جعل زاده من الدنيا العمل الصالح فهو الزاد الذي لا ينفد ، وهو الذي يُرافقه إلى يوم الحساب .

فكان النصر حليف المسلمين وانهزمت جموع الكُفر والإلحاد وهم يجـــرون أذيـــال الخيبة والهزيمة ، فاشتد حقدهم وكراهيتهم للمسلمين ، فجمعوا أمرهم لحرب المســـلمين والثأر لقتلاهم ، فعسكر الجيشان عند أُحُد ، وكل قائد منهم يحرض جنده للقتـــال ، فقـائد المسلمين رسول الله ﷺ يحض أصحابه على الجهاد ، ويدفعهم إلى الاستعداد والتـــهيؤ له، ويدعوهم إلى استكمال ثقافتهم العسكرية لمواجهة عدوهم ، مُقبلين غـــير مدبريـــن ، فكان لهذه التعاليم أثرها في نفوسهم ، فكان الجهاد بلورة نورانية تجذب المسلمين وتلـــهب مشـــاعرهم نحو مواجهة عدوهم ، فأصبحت الدنيا عندهم مجازا للآخرة ، إلـــى الجنـــة فيعيش من عاش منهم سعيداً ، ومن مات منهم فهو شهيد عند الله تعالى (٤)، قال كعـــب بن مالك مجسداً ذلك (٥):

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: ٢٤/٩٩ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية : ٢/٢٧٩ ، وتاريخ الطبري: ٢/٢٨١ ، والأغاني: ٤/١٩٢ – ١٩٣ .

(٣) تاريخ الطبري:٢/٢٨١، الأغاني:٤/١٩٥، يُنظر: أسد الغابة:٤/٢٩١،البداية والنهاية:٣/٢٧٧، ويُنظر:الإصابة:٥/٣١ .

(٤) يُنظر: شعر الفتوح الإسلامية: ٣٥ – ٣٦ .

(٥) ديوانه : ١٥٧ – ١٥٨ .

وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا عَلَىٰ الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ
فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطَلِ الْمُرْهَجِ

غير مبالين بفكرة الموت أو الخوف منه ، إذْ عرفوا أَنَّ خير الموت أَنْ يقتل المسلم في ساحة الجهاد [١]، فأبو دُجانة الأنصاري [٢] صحابي جليل كان له أثر مشهود في معركة أُحُد أظهر فيه صدق إيمانه وطاعته لرسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه متقدما صفوف الأعداء [٣]، ففي هذا اليوم قال رسول الله ﷺ : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة ، فقال: وما حقه يا رسول الله ؟ قال أَنْ تضرب به القوم حتى ينثني ، قال: أَنَا أخذ ه يا رسول بحقه ، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان إذا عُلَّمَ بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه [٤]، (فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت) [٥] ، فجعل يتبختر بين الصفين ، فلما رآه النبي ﷺ ، قال: " إنَّها مشية يبغضها الله إلاَّ في هذا الموضع"[٦] .

فأقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس فأخذ يُردد [٧]:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَىٰ النَّخِيلِ

---

(١) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

(٢) هو سماك ابن خرشة ، ويقال سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان ، وهو مشهور بكنيته أبو دجانة ، شهد بدرا ، وكان أحد الشجعان له مقامات محمودة في مغازي رسول الله وهو من كبار الصحابة ، استشهد يوم اليمامة . يُنظر: الاستيعاب: ٦٥١/٢ – ٦٥٢ ، والإصابة: ٥٧/٧ .

(٣) يُنظر: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: ٢٥٤ .

(٤) يُنظر: السير والمغازي: ٣٢٦ ، والسيرة النبوية: ٧١/٣ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ١٧١ . ودراسات في أدب الدعوة الإسلامية : ٢٥٤ ، وشهداء الإسلام في عصر النبوة: ١٥١ .

(٥) السيرة النبوية: ٧٣/٣ ، الروض الأنف: ٤٣٠/٥ ، نهاية الارب في فنون الادب: ٨٨/١٧ ، لباب الأداب: ١٧٧ للأمير بن منقذ .

(٦) مجمع الزوائد: ١٠٩/٦ .

(٧) السيرة النبوية: ٧٣/٣ ، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٨٨/١٧ ، سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١ ، سمط النجوم: ٨٣/٢ . ويُنظر: لباب الآداب: ١٧٧ .

أَلاَّ أَقومَ الدَّهـــــرَ في الكَيُّـــولِ أَضْرِبْ بســـــيفِ اللهِ والرَّسُـــولِ

إنَّ أبا دجانة عزم على نفسه أن لا يكون في الصفوف الأخيرة في ميدان الجهاد ، بل لابُد أن يقذف بنفسه في الصفوف الأمامية ، يضرب بسيف الله والرسول ، جهاداً في سبيل الله وإعلاء لكلمته العليا ، ودفاعا عن المسلمين ، فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلاَّ قتله[1]، وأمثال أبو دجانة كثير من الصحابة الكرام الذين أثبتوا صدق إيمانهم واستعدادهم لمواجهة أي عدوان خارجي يدنو منهم ، لكنهم إزاء هذه الحروب الخارجية لم ينسوا المؤامرات والدسائس التي يقوم بها اليهود وذلك عندما حرضوا قريش وحزَّبوا الأحزاب لقتال المسلمين ، فلمّا سمع بهم النبي ﷺ وما أجمعوا له ضرب الخندق حول المدينة وعمل فيه ترغيبا للمسلمين فعمل معه المسلمون [2]، لكنه ﷺ رأى ما بهم من النصب والجوع فقال مُرغبا وداعيا لهم: " اللهمَّ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة " [3]، فلما سمع الصحابة الكرام منه هذا الكلام أكدوا طاعتهم له في الجهاد والإقدام وبايعوه على ذلك ، فقالوا [4]:

نَحْـــــنُ الذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّـــدَاً عَلَىٰ الجِهَادِ مَا بَقِينَـــا أَبَـــدَا

فهؤلاء الرجال قد تذوقوا في حلاوة الجهاد والإقدام (لوناً لم تكتحل به عيونهم بعد أنْ تفتحت البصائر وتألقت نوازع التضحية وهي تحمل نسغ الحياة الجديد) [5] ، فعندما دارت الحرب بين جموع الكفر والنفاق وبين حصن العقيدة والإيمان كان سعد بن معاذ من المجاهدين الذين بايعوا محمداً ﷺ على الجهاد والإقدام نحو قتال الأعداء ، فتروي لنا أم المؤمنين عائشة "رضي الله عنها" وقد كانت في حصن من حصون الخندق إنَّ سعدا مرَّ

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/٧٣ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية: ٣/٢٢٥ – ٢٢٧ ، ويُنظر: تاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٨٣ – ٢٨٥ .

(٣) صحيح البخاري: ٤/١٥٠٤ .

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٩٨ ، البداية والنهاية: ٤/٩٥ ، سمط النجوم: ٢/١٢٨ .

(٥) شعر الحرب في عصر الرسالة: ٤٠ .

وعليه درع قصيرة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربة يُسرع بها نحو العدو [١]، وهو يُردد [٢]:

لَبِّثْ قليلاً يَشْهدِ الهَيْجَا حَمَـــل لا بَأْسَ بِالمَوتِ إِذَا حَـانَ الأَجَـلْ

وهنا يأتي دور المرأة المسلمة المؤمنة بالله تعالى ، التي طالما رأيناها ملهمـــة الشـــعراء نراها اليوم جنديا إسلاميا وهي تلهم الأبطال على الإقدام نحو ساحات الوغى [٣]، فقالت له أمه: الحق بني ، فقد والله أخرت ، فَرُمِيَ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحـــل ، رمـــاه حبّان بن قيس بن العرقة [٤]، فاستشهد من مصابه ﷺ بعد أَنْ أَرَاه الله تعالى هلاك بنـــي قريظة [٥] .

ولنا دائما في مدرسة رسول الله ﷺ مواقف مشرفة ومتألقة يُقبل إلينا كثير من صحابتـــه واتباعه ، وهم يعلمون علم اليقين أنهم ماضون فيها إلى الموت ، ومـــع ذلـــك عزمـــوا وأقدموا يرتشفون رحيق الشهادة ، فيلاقوا مصارعهم فرحين مستبشرين فرحين ما عند الله تعالى [٦]، ففي السنة السابعة من الهجرة خرج رسول الله إلى خيبر ليـــؤدب اليـــهود ، وكان قـــد خـــرج معه الصحابي المجاهد عامر بن الأكـــوع [٧] ﷺ ، ومضـــى جيـــش

---

(١) يُنظر: المغازي: ٤٦٩/٢ ، والسيرة النبوية: ٢٣٧/٣ ، وسير اعلام النبلاء: ٢٨١/١ ، وتاريـــخ الإســـلام (المغازي) : ٢٩١ .

(٢) السيرة النبوية: ٢٣٧/٣ ، المنتظم: ٧٦٤/٢ ، اسد الغابة: ٣٧٤/٢ ، سير اعلام النبلاء: ٢٨١/١ ، تـــاريخ الإســـلام (المغازي) : ٢٩١ ، وهذا البيت الذي تمثل به سعد هو لـــ (حمل بن سعد انه بن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بـــن حباب الكلبي) ، وفد على النبي ﷺ وعقد له لواء وشهد مـــع خالد بن الوليد المشاهد كلـــها . يُنظـــر: الاســـتيعاب: ٣٧٦/١.

(٣) يُنظر: الظل في التراث العربي: ٣٩ – ٤٠ ، والغروسية في الشعر الجاهلي: ٥٣ ، د. نوري حمودي القيـــسي ، ودراسات في الشعر العربي القديم: ٨٣ ، د. ﻫحت عبد الغفور الحديثي .

(٤) هو حبان بن عبد مناف بن سعد بن عمرو بن معيص بن عامر بن لوى ، العَرِقة أمه ، وهي قُلابة بنت سعيد بن سهم بـــن عمرو بن هُصيص . يُنظر: الاستيعاب: ٦٠٢/٢ – ٦٠٣ .

(٥) يُنظر: السيرة النبوية: ٢٣٧/٣ – ٢٦٢ .

(٦) يُنظر: الشهيد الجاهد المجاهد عامر بن الاكوع: ٧١ (بحث) د. احمد الشرباصي ، مجلة الرسالة الإسلامية ، العـــددان ٢٩ – ٣٠ ، شعبان – رمضان ، ١٣٩٠ – ١٩٧٠ .

(٧) هو عامر بن سنان ابن عبد الله بن قشير بن.... الأنصاري ، عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، استشهد يـــوم خيـــبر . يُنظر: ابن سعد: ٣٠٢/٤ ، ويُنظر: الاستيعاب: ٧٨٥/٢ ، ويُنظر: أسد الغابة: ١٢٤/٣ ، ويُنظر: الإصابة: ٩/٤ .

الإيمان في طريقه ، ولما أصبحوا على مشارف خيبر أمر رسول الله ﷺ بالوقوف ، ثم قال: " اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله " (١)، فالتقى الجمعان ، جمع الإيمان وجمع الكفر والنفاق ، فقال رسول الله ﷺ : " الله اكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " (٢)، وفي ساحة المعركة برز مرحب اليهودي ، وجعل يتبختر ويقول (٣):

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أَنِي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ ... إِذَا اللُيوثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ

إِن حِمَاى للحِمَى لا يُقْرَبُ

فسمعه المجاهد عامر ، (فلم يملك نفسه ، فسارع إلى الطاغية اليهودي)(٤) وهو يقول (٥):

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ إِنِي عَامِر ... شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُغَامِر

فتبارزا بسيفيهما، فرجع سيف عامر إليه وهو يقاتل ، فكلمه كلماً شديداً ، فمات منه فشك المسلمون في استشهاده ، فقالوا: إنَّما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة ابن عمرو بن الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك ، واخبره بقول الناس ، فقال رسول الله: إنه لشهيد (٦).

---

(١) سنن النسائي: ٣٦٧/١ .

(٢) صحيح البخاري: ١٤٥/١ .

(٣) السيرة النبوية: ٣٤٧/٣ ، وينظر: طبقات ابن سعد: ١١٠/٢ ، والاستيعاب: ٧٨٦/٢ ، والمنتظم: ٨١٥/٢ ، وتاريخ الإسلام (المغازي): ٤٠٨ ، والبداية والنهاية: ١٨٧/٤ .

(٤) الشهيد المجاهد عامر بن الأكوع: ٧٥ .

(٥) طبقات ابن سعد: ١١١/٢ ، الاستيعاب: ٧٨٦/٢ ، المنتظم: ٨١٥/٢ ، تاريخ الإسلام (المغازي): ٤٠٨ ، البداية والنهاية: ١٨٧/٤ .

(٦) ينظر: السيرة النبوية: ٣٤٣/٣ ، وطبقات ابن سعد: ١١١/٢ ، وصحيح البخاري: ٢٢٧٧/٥ ، والاستيعاب: ٧٨٧/٢ ، والمنتظم: ٨١٠/٢ ، والبداية والنهاية: ١٨٧/٤ .

وَأَمْثَال عامر بن الأكوع كثير من المجاهدين الذين تخرجوا من مدرسة الإسلام ، مدرسة رسول الله ﷺ ففي كل معركة نراهم يتقدمون الصفوف نحو الأعداء يُقتلون ويُقتلون ، عاكسين لنا وفاءهم لله ورسوله في جهادهم لأعداء الإسلام ، بإيمان صادق وعزيمة قوية ، ويتجلى لنا هذا الوفاء في جيش مؤتة الذي يقوده أمراء رسول الله الثلاثة، فعند مسيرهم إلى لقاء العدووفي الطريق بلغهم عدد عدوهم الهائل الذي يفوقهم عِدةً وعدداً فاضطرب أمر المسلمين ، وهنا جاء دور القائد المجاهد المُحب للشهادة ، فقام عبد الله بن رواحة فيهم خطيباً ، وذكرهم أنهم لا يُقاتلون أعداء الإسلام بعدد ولا عُدة ، بل يقاتلون الأعداء بإيمان صادق وعقيدة ثابتة ، فكان هذا سلاحهم يوم بدر فنصرهم الله تعالى على عدوهم ، وانزل ملائكته تُقاتل معهم ، كل هذا لأنهم صدقوا مع الله تعالى . فهدأت نفوس المجاهد واطمأنت ، وأدركت أنّ الله تعالى هو العزيز القوي ، بيده كل شيء ، فقالوا صدق والله ابن رواحة [1]، فواصل الجيش سيره نحو لقاء العدو دون إبطاء أو تردد ، فهم يُقاتلون من أجل الحق والعدل ، وعدوهم يقاتل من أجل الكفر والإلحاد [2]، فهذا عبد الله يصور لنا إقدام جيش المسلمين نحو عدوهم وحرصهم على قتالهم ، فقال [3]:

جَلَبْنَا الخَيلَ مِنْ أَجَأٍ وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ مِن الحشيش لَهَا العُكومُ [4]

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوان سِبْتًا ... أَزَلَّ كأنّ صَفْحتَه أَدِيمُ

أَقَامَتْ ليلتين عَلَى مَعَانٍ ... فَأَعْقِبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُمُومُ [5]

فُرُحْنَا والجيادُ مُسَوَّمات ... تنفَّس في مَنَاخرها السَّمومُ

فَلا وَأَبِي مَآب لَنأتينها ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ ورُومُ [6]

فَعبأنَا أَعِنَّتَهَا فَجَاءَت ... عَوابسَ والغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ

---

(١) يُنظر: السيرة النبوية: ١٧/٤ .

(٢) يُنظر: العروبة في أدب: ق١هـ/٤٤ .

(٣) ديوانه: ١٠٢ – ١٠٤ .

(٤) العُكوم: الاحمال والاعدال التي فيها الاوعية من صوف ونحوه . يُنظر: اللسان: ٣٠٦١/٤ .

(٥) معان مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي بلقاء ، معجم البلدان: ٢٨٥/٨ .

(٦) مآب مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . يُنظر: المصدر نفسه: ١٨٨/٧ .

بِـذِي لَجَـبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيـه إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُـومُ
فَرَاضِيَةُ المعيشة طَلَّقَتهـا أَسِـنَّتُها فَتَنْكِـحُ أَوْ تَئِـيمُ

(ومقطوعة ابن رواحة هذه يدور الحديث فيها عن الخيل ، والمراد بطبيعة الحال أربابها، فتقدمها من تقدمهم ، وتجشمها للصعاب من تجشمهم ، واقتحامها قلب المعامع من تصميمهم على الجهاد في سبيل الله ، وبذل الأرواح رخيصة ابتغاء مرضاته) [1]، فوصل الفريقان وتلاحم الجيشان ، جيش الإيمان وجيش الكفر ، وتزاحم رجال الإيمان وهم يخوضون مناهل التضحية بوجوه كريمة وعيون لامعة [2]، وقد (أخذ الإيمان بمجامع قلوبهم ، فجمع بينهم بما سن من نظم روحية واجتماعية دفعت في افئدتهم قوة معنوية عظيمة ، وحفزتهم للاندفاع إلى ما وراء تخوفهم ومواجهة الفرس والروم في أعقار دورهما) [3]، فبقيت وصية رسول الله ﷺ لأمرائه الثلاثة راسخة في أذهانهم ، فعليهم تقع مسؤولية نشر هذه (الدعوة التي لا يستطيعون الانطواء عليها وحدهم وهي تتضوأ بدفئها ونورها في مواطن اعتقادهم) [4]، بل لابُدَّ من حملها للناس الذين أعمتهم الضلالة وابعدتهم عن نور الإسلام ، وسوف يظل الناس هكذا ما دامت (قوى الشرك والطغيان تسعى لتحجيم مبادئ الدعوة الإسلامية ، واحتواء معانيها السامية) [5]، فهذا زيد بن حارثة أمير جمع المؤمنين يأخذ راية رسول الله ﷺ ويتقدم الصفوف ويُقاتل الأعداء ، لا يعرف للتردد معنى بل مضى يُطاعن الأعداء حتى شاط في رماح الأعداء [6]، فعزَّ على المسلمين أن تسقط راية رسول الله ﷺ لما للراية من أهمية في حسم المعارك ، فالراية كانت وما تزال تُشكل (رمزاً من رموز الرفعة ودليلا من أدلة القيادة ووهجا تتجه إليها الأنظار عندما يشتد أوار الشد ، وأملاً تتعلق بها كل عيون المقاتلين ، لأنَّ إخفاقها في سماء المعركة واستمرارها في العلو تعني المصاولة والمطاولة والصمود والانتصار ،

(١) ديوانه: ٦٦ .
(٢) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ/ ١٠٣ .
(٣) شعر الفتوح الإسلامية: ٣٢ .
(٤) المصدر نفسه: ٣٣ .
(٥) شعر الحرب حتى ق١هـ/ ١٠٣ .
(٦) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/١٩ .

وهذا ما كان يدفع المؤمنين إلى الحرص على ارتفاع الراية وهم يقدمون لها الدماء الطاهرة والنفوس العزيزة والجحافل المجاهدة) [1]، فأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ ، وهو فتى في الثالثة والثلاثين ، واندفع في غمار العدو ، وكانت له فرس شقراء ، فعقرها [2]، وهو أول فرس عُقر في الإسلام [3]، فمضى يُقاتل الأعداء الكفرة فقد حان قتالها ، فأنشأ يرتجز في قتاله لهم [4]:

وَالرومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بعيدةٌ أنْسَابُهَا

عَلِيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

فقتل منهم مقتلة عظيمة بسيفه الغمام ، فقد قط به جماجمهم في تلك المعركة فقال مثبتاً ذلك [5]:

قَدْ عَلِمَتْ فَهْرٌ وَفَهْرٌ حَاكِمه أنِي مِنْهَا فِي الذُرَى وَالغَلْصَمَهْ [6]

كَمْ قَطَّ مِنْ شَاكِلةٍ وَجُمْجُمَهْ

وما زال ﷺ يتقدم صفوف الأعداء واللواء بيمينه فقطعت ، فأخذ اللواء بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى ضربه رجل من الروم ضربة قطعه بها نصفين [7]، "رحمه الله تعالى" ، ولم يكن الشعر بعيداً عن هذا الموقف ، فصوت الشعر يرتفع في كل موقف ، وهو يؤدي دوره في التعبير عن الحس القتالي والإيمان الصادق والعزيمة الرائدة[8]، التي كان عليها قادة مؤتة ، فهذا حسان بن ثابت يصور لنا جهاد جعفر وإقدامه

---

(١) شعر الحرب حتى ق١هـ/ ١٠٤ .

(٢) يُنظر: السيرة النبوية:٤/٢٠، وطبقات ابن سعد:٢/١٢٩، وتاريخ خليفة:١/٥٠، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٤٨٣ .

(٣) يُنظر: التنبيه والأشراف: ٢٣٠ .

(٤) السيرة النبوية : ٤/٢٠ ، الروض الأنف: ٦/٢٠ ، الكامل في التاريخ: ٢/١١٤ ، نهاية الأرب في فنون الأدب: ١١/٢٨٠، ويُنظر: سير أعلام النبلاء: ١/٢١٠ وتاريخ الإسلام (المغازي): ٤٨٣ ، البداية والنهاية: ٤/٢٤٤ ، حياة الصحابة: ١/٥٥٠ .

(٥) المنمق في أخبار قريش: ٥٢٥ محمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق ، خورشيد احمد .

(٦) الغلصمة: الشرف والرقبة . يُنظر: اللسان: ٥/٣٢٨١ (غلصم) .

(٧) يُنظر: السيرة النبوية: ٤/٢٠ ، وطبقات ابن سعد: ٢/١٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي: ٢/٥٥ ، والاستيعاب: ١/٢٤٢ ، ومكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول: ٥١٣ .

(٨) يُنظر: شعر الحرب حتى ق١هـ: ٨١ .

نحو العدو وهو يقود المؤمنين إلى الموت دون خوف ، بل مضى يُطاعن الأعداء ، فقال[1]:

غَدَاةَ غَدَوا بالمُؤمنينَ يَقُودُهُمْ ... إلى المَوْتِ مَيْمُونُ النَّقيبةِ أزْهَرُ
أغَرُّ كَلَونِ البَدْرِ مِن آلِ هَاشِمٍ ... شُجَاعٌ إذَا سِيمَ الظُّلامَةَ مِجْسَرُ[2]
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ ... بِمُعْتَرَكٍ فيهِ القَنَا يَتَكَسَّرُ

وكعب بن مالك هو أيضا يؤكد الحقيقة ذاتها التي كان عليها جعفر في جهاده وإقدامه نحو العدو وهو يقود المؤمنين ، فقال [3]:

إذ يهتدون بِجَعفرٍ وَلوائِهِ ... قُدُمًا أَوَلهم فنعم الأوّل
حَتَّى تَفَرَّجتِ الصفوفُ وَجَعْفَرٌ ... حيثَ التَقَى وَعْثُ الصفوف مُجَدَّل

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، وكيف لا يأخذها وهي فرصته لنيل الشهادة التي طالما تمناها وحلم بها وراوده طيفها ، أمّا الآن فهي أمامه تنتظر منه الإقدام نحوها ، لكن نفسه ترددت بعض التردد . فهل يقبل بهذا التردد ؟ لم يقبل به ولن يقبل به بل أقسم على نفسه أنْ تتقدم نحو الأعداء طائعة أو مكرهة ، وأخذ يلومها على كراهيتها الجنة ، فأنى لي ترددها في الإقدام عندما ذكرها بحقيقتها ، فهي ليست إلاّ نُطفة في شَنّ ، فقال [4]:

أقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتَنزِلَنَّهْ ... لَتَنْزِلَنَّ أو لَتُكْرَهَنَّهْ
إنْ أجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ ... مَالِي أرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ ... هَلْ أنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ في شَنَّهْ

بعد أنْ حسم ابن رواحة تردد نفسه في الإقدام نحو العدو ، أراد أنْ يرغبها في الشهادة ، مذكراً إياها بمصير كل إنسان ، وخير هذا المصير أنْ يكون في سبيل الله تعالى

(١) ديوانه: ٩٨ .
(٢) مجسر: المقدام الجسور . يُنظر: اللسان: ٦٢٣/١ (جسر).
(٣) ديوانه : ٢٠٥ .
(٤) ديوانه : ١٠٨ – ١٠٩ .

فيفوز المرء بالشهادة فهذا حمام الموت أمامك ، فتقدمي نحوه ونالي الشهادة والحقي بزيد وجعفر ، فطريقهما طريق الهدى ، فقال [1]:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيتِ فَقَدْ أُعطِيتِ ... إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُما هُدِيتِ[2]

إنَّ تردد ابن رواحة في أول أمره لا يعني خوفه من الموت ، وكيف يخاف الموت وهو الوحيد من الجيش الذي لم يرضَ أنْ يرجع سالما عندما دعا لهم الناس بالعودة سالمين ، بل تمنى الشهادة بقوله [3]:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحمنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

وهو الذي شجع الناس في مواصلة المسير لقتال الأعداء عندما علموا أنَّ هرقل نزل في مائة ألف من الروم ، فقال لهم:(والله إنَّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلَّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: أما ظهور وإمّا شهادة ، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس)[4] . ولم يكن شعره ينبئ به بأنه كان يتخوف الموت [5]، فالموقف الذي مرَّ به ابن رواحة قد مرَّ به أعظم الشجعان ، فقد مرَّ به عمرو بن الاطنابة الفارس الخزرجي والشاعر الجاهلي قال [6]:

أَبَتْ لِي عِفتِي وَأَبَى بلائي ... وَأَخْذِي الحَمْدَ بالثَّمنِ الرَّبيحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى المَكْرُوه نَفْسِي ... وَضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأت [7] ، لنفسي ... مَكانك تُحْمَدِي أَو تَسْتَرِيحِي

---

(١) ديوانه : ٨٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه: ٨٨ .

(٤) السيرة النبوية : ١٦/٤ – ١٧ .

(٥) يُنظر: شعر الخضرمين وأثر الإسلام فيه: ٩٢ د. يحيى الجبوري.

(٦) عيون الاخبار: ٢٠٧/١ . ويُنظر: حماسة البحتري: ١ ، تحقيق، كمال مصطفى ، والعقد الفريد: ٦٧/١ ، والكامل في التاريخ: ١٢٦/١ .

(٧) جشأت: تطلعت وهضت جزعا وكراهة . يُنظر: اللسان: ٦٢٥/١ (جشأ).

ومرَّ به فارس اليمن ، عمرو بن معد يكرب ، فقال [1]:

فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَى مَكروهها فاستقرَّتِ

وكل من هؤلاء الأبطال كان يحث نفسه على الإقدام ، ومما تقدم يتضح لنا أن هذا الشعور طبيعي ليس مردّه الجبن ، ولكنه التقدير الصحيح للموقف ، فإن مثل ذلك اليوم له مصيره الخطير ، فالقائد لابُدَّ أَنْ يُدرك تماما أَنَّ أي خطا في التقدير يجر قومه إلى كثير من الويلات والدمار ، أمَّا الذي يتوجه إلى الحرب بشيء قليل من اللامبالاة ، فما أسهل اصطياده ، وما أهونه على أعدائه [2]، فعبد الله ما تردد لِجُبنهِ وإنما لقياس الأمور بمقياس صحيح ، يحفظ للمسلمين جمعهم .

إنَّ في جهاد هؤلاء القادة وإقدامهم نحو الشهادة يتضح مفهوم الإقدام الذي تحدوا به الموت، وتعاملوا بموجبه مع كل الأحداث ، وبه استهانوا بكل النوازع التي تحاول الاستحواذ عليها رغبات الدنيا الفانية [3].

ومثل هذا التقدم الذي تحلى به قادة مؤتة ، اتصف به قائد مجاهد في غزوة حُنين مع رسول الله ﷺ وهو يقود قومه ويتقدم بهم صفوف الأعداء دون تردد أو خوف من الموت، إنَّه الضحاك بن سفيان ، فهذا الشاعر المجاهد العباس بن مرداس يصور لنا قيادة الضحاك لقومه وهو يتقدم بهم نحو الموت ، فقال [4]:

وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنا لِلدِّينِ عِزّاً وَعِنْدَ اللهِ مُدَّخَرُ
إِذْ نَرْكَبُ الموتَ مُخضرَّاً بَطَائِنُهُ والخيلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ
في مَأْزِقٍ من مَجَرِّ الحَرْبِ كَلْكَلُهَا تَكَادُ تأفُلُ مِنه الشَّمْسُ وَالقَمَرُ

لقد كان نشر مبادئ الهداية والتوحيد الهاجس الوحيد الذي شغل مشاعر المسلمين وملأ حياتهم ، وهم يخوضون المعارك والغزوات التي خاضوها مع رسول الله ﷺ [5]، بل إنَّ

(١) شعره: ٥٤ .
(٢) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٧١ – ٧٢ .
(٣) يُنظر: شعر الحرب في ١هـ: ٨٨ .
(٤) ديوانه : ٥٥ .
(٥) يُنظر: الجهاد في شعر عصر الرسالة: ١٢٠ .

نشر هذه المبادئ أصبح واجبهم المفروض عليهم بعد وفاته ﷺ ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكمل مهمة نشر الدعوة الإسلامية ، فسير الجيوش لهذه المهمة ، فهو أمير المؤمنين وعلى عاتقه تقع هذه المسؤولية ، (فحفظ الدولة الإسلامية ، ووسع حدودها شرقاً وغرباً والدنيا تزحف إلى العرب من تحت أقدامه، وهم يجوبونها فاتحين مجاهدين في الله ورسوله حق الجهاد ، قد استحبوا الآخرة الباقية وآثروها على الدنيا الفانية ، فلهج العالم باسمه وجنوده منصورة في كل مكان) [1] ومن هذه المنصورة ، جيشه الذي سيره إلى قتال الفرس في القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وفي كل لقاء بين الحق والكفر ، هناك قوافل المؤمنين الذين يتسابقون إلى المعارك ويتزاحمون لورود مناهل التضحية ، فيندفعون إلى عدوهم فيقتلونه أو يقتلهم ، يدفعهم صدق العقيدة التي يقاتلون من اجلها ويسعون لنشر مبادئها إلى أرجاء العالم ، مستمدين العزم من الله تعالى ، ومضحين بأعز ما يملكون فداءً لله تعالى ، فهذه الخنساء الشاعرة المعروفة تدفع ببنيها الأربعة إلى الجهاد ليلة القادسية ، فقالت موصية لهم: (يا بني ! إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله إلاّ هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنتُ أباكم ، ولا فضحتُ خالكم ، ولا هجنتُ حسبكم ، ولا غيرتُ نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدّ الله المسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أنّ الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية ، فإذا أصبحتم غدا إنْ شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها ، وجللت ناراً على أوراقها ، فتيمّموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغُنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فخرج بنوها قابلين لنُصحها ، عازمين على قولها ، فلمّا أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم) [2]. (إلى الجلاد وهم يتغنون بهذه النصيحة شعرا ملتهباً

---

(١) الرثاء: ٥٧ ، د. شوقي ضيف .

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٤٣٨/١ للبغدادي ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي : ٩٤رسالة دكتوراه ــ كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية ليلى محمد ناظم الخيالي، ١٩٩٤.

بالإيمان ، يكشف عن تمكن روح الجهاد في نفوسهم وفعله بهم) [1]، فهذا أولهم نزل ساحة المعركة مقدما نحو العدو يقاتلهم وهو يتذكر وصية أمه لهم ، فقال [2]:

يَا إِخْوَتِي إِنَّ العَجُوزَ النَّاصِحَهْ ... قَدْ نَصَحَتْنَا إِذْ دَعَتْنَا البَارِحَهْ
مَقَالَةً ذَاتَ بَيَانٍ وَاضِحَهْ ... فَبَاكِرُوا الحَرْبَ الضَرُوْسَ الكَالِحَهْ
وَإِنَّمَا تَلقَونَ عِنْدَ الصَائِحَهْ ... مِن آلِ سَاسَانَ الكِلاب النَابِحَهْ
قَدْ أَيْقَنُوا مِنْكُم بِوَقْعِ الجَائِحَهْ ... وَأَنْتُم بَيْنَ حَيَاةٍ صَالِحَهْ
أَوْ مِيتَةٍ تُورِثُ غُنمًا رَابِحَهْ

فقاتل حتى قُتل "رحمه الله" ثم حمل الثاني وهو يقول:

إِنَّ العَجُوزَ ذَات حَزْمٍ وَجَلَدْ ... وَالنَّظَرِ الأَوْفَقِ وَالرَّأْيِ السَّدَدْ
وَقَد أَمَرَتْنَا بِالسَّدَادِ وَالرَشَدْ ... نَصِيْحَةً مِنْهَا وَبِرًّا بِالوَلَدْ
فَبَاكِرُوا الحَرْبَ حُمَاةً فِي العَدَدْ ... إِمَّا لِفَوزٍ بَارِدٍ عَلَى الكَبَدْ
أَوْ مِيتَةٍ تُورِثُكُم عِزَّ الأَبَدْ ... فِي جَنَّةِ الفِرْدَوسِ وَالعَيْشِ الرَغَدْ

فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" ثم حمل الثالث وهو يقول:

وَاللهِ لا نَعْصِي العَجُوزَ حَرْفَا ... قَدْ أَمَرَتْنَا حَدِبًا وَعَطْفَا
نُصْحًا وَبِرًّا صَادِقًا وَلُطفَا ... فَبَادِرُوا الحَرْبَ الضَرُوسَ زَحْفَا
حَتَّى تَلفُّوا آلَ كِسْرَى لَفَّا ... أَو تَكْشِفُوهم عَن حِمَاكم كَشْفَا
إِنَّا نَرَى التَقْصِيرَ مِنْكُم ضَعْفَا ... وَالقَتْلَ فِيكُم نَجْدَةً وَزُلْفَى

فقاتل حتى استشهد "رحمه الله" ثم حمل الرابع وهو يقول:

لَسْتُ لِخَنْسَاءَ وَلا لِلأَخْرَمِ ... وَلَا لِعَمرو ذي السَنَاءِ الأَقْدَمِ
إِنْ لَم أَرُد فِي الجَيشِ جَيشِ الأَعْجَمِ ... مَاضٍ عَلَى الهَولِ خِضَمٌّ خَضْرَمِ

(١) شعر الفتوح الإسلامية: ٤٠ – ٤١ .

(٢) الاستيعاب: ١٨٢٨/٤ – ١٨٢٩ ، المنتظم: ١٠٢٣/٣ .

إِمَّـا لِفَـوزٍ عَـاجِلٍ وَمَغْنَـمٍ أَو لِوَفَـاةٍ فِي السَّـبِيلِ الأَكْـرَمِ

فقاتل حتى استشهد ﷺ وعن اخوته ، فبلغها الخبر فقالت: (الحمد لله الذي شـرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) [1].

وهذا مجاهد مقدام آخر وقد كان ضريراً لكنه لم يجزع من ذلك فكـان مـن أوائـل المجاهدين وقد حظي بتكريم النبي ﷺ في اكثر من مرة ، فاستخلفه النبي ﷺ ثلاث عشرة مرة في غزواته إنَّه عبد الله بن أم مكتوم[2] ، فكان هذا الصحابي الجليل معروفا بشـجاعته وإقدامه فهو من الذين عشقوا الشهادة وملوا طول الحياة الفانية ، واستبد به شوق الحيـاة الخالدة لكن لم تتهيأ له الفرصة السانحة [3]، فهو اليوم من جنود سعد بن أبي وقاص وهـو يسعى جاهداً لتحقيق أمنيته فقال لأصحابه المجاهدين: (ادفعوا إليَّ اللواء ، فإني أعمـى لا أستطيع أنْ أفرَّ ، وأقيموني بين الصفين) [4]، فاثبت لهم شجاعته وحبه وحرصه للشـهادة فظل يتقدم الصفوف حاملا راية المسلمين ، ومن المؤكد إنَّ الأعداء يسـتهدفون حـامل الراية لِمَا لها من أهمية في حسم المعارك إذ بانتكاسها تعني الهزيمة ، وَإِنَّما اختارها ابـن أم مكتوم لكي يكون مستهدفا من قبل الأعداء وبالتالي ينال الشهادة وفعلا فقد رزقـه الله تعالى إياها فكان نموذجا يتلألأ في سماء شهداء المسلمين [5].

لقد جَسَّد لنا هؤلاء الشهداء في قتالهم الأعداء حتى الشهادة أثر العقيدة فـي نفـوس المؤمنين الذين دفعتهم إلى مُجالدة الفرس وقتال المشركين من المجوس وهـم يجـودون بالنفوس بقدرة لا تُقاوم ومقاومة لا تقهر [6] ، وحرصهم على (ضرورة الانطـلاق إلـى الناس كافة ، ليتسنى لهم أن يخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جـور الأديـان

---

(١) الاستيعاب ١٨٢٨/٤-١٨٢٩ ، المنتظم ١٠٢٣/٣ .

(٢) هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ، والأصم هو جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن لؤي القرشي العامري المشهور بابن ام مكتوم المؤذن وام مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بـن مخـزوم . يُنظـر: الاستيعاب: ١١٩٨/٣ ، والإصابة: ٢٨٤/٤-٢٨٥ .

(٣) يُنظر: فدائيون في تاريخ الإسلام: ١٢٧ ، احمد الشرباصي .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) يُنظر: شعر العقيدة: ١٧٠ .

(٦) يُنظر: شعر الحرب حتى ٤١هـ / ١٣٠ .

إلى عدل الإسلام) [1] ، بهذا الحرص على ضرورة نشر الدعـوة واصلـوا مسـيرتهم الجهادية لقتال الفرس الطامعين وتحرير الأرض العربية لا (لمجرد إرضاء شهوة الغـزو كما كان يفعل اليونان والرومان أو الاستعمار والنهب كمـا فعـل الرومـان وحلفـاؤهم وورثتهم ، بل قامت معظم الفتوحات العربية على أساس الإصلاح وحب الخير العـام)[2]، فهم ليسوا قتلة ولا سافكي دم أحد بغير حق ، بل إنَّ البلاد التي يفتحونها وقبـل غزوهـا يدعون أهلها إلى الإسلام وشهادة الحق ، وتتضح لنا هذه الحقيقة فـي وصيـة أمـراء المسلمين لقادة جيوشهم السائرة نحو تحرير البلاد ، فهذا عمرو بن العاص قـائد جيـوش المسلمين في فتوح الشام ، فبعد أنْ جهز الجيوش وبلغ عدده عشرة آلاف فـارس ، قـال لهم: (يا معاشر الأمراء أصحاب الرايات والسادات الأخيار ، إنَّ خـالداً أمـير عليكـم فاسمعوا له وأطيعوا ، وكونوا كلمة واحدة ، ... ، ولا تقاتلوا قوماً حتـى تدعوهـم إلـى شهادة أن لا اله إلا الله ، وأنَّ محمدا رسول الله وهو خير الحاكمين) [3]، فهم لأجل ذلـك يُقَاتِلُون وَيُقْتَلُون ، فإذا ما حانت ساعة الإقدام ، حملوا الرايات وقادوا الجيـوش وتقدمـوا نحو هدفهم وغايتهم العظمى ، فاستدعى عمرو بن العاص الفضل بن [4] العبـاس وأمـره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله ﷺ فتسلم بيده وتوجه نحو الأعـداء وهـو يردد [5]:

إِنِّي أَنَا الفَضْـــلُ أَبي العَبَّـاس ... وَفَـارِسٌ مُنَـــازِلٌ حَـــوَّاس
مَعِي حســـام قَـاطِع للـراس ... وَفَـالِق الهَامَـاتِ وَالأَضْـرَاس
أَفْنِي بِهِ الأَعْدَاء بِـلا البَـاس ... وَمَا عَلَـيَّ فِيـهِم مِـنْ بَـاس

(١) شعر الفتوح الإسلامية: ٤٢ .

(٢) الشهاب الراصد: ١٦٣ محمد لطفي جمعة .

(٣) فتوح الشام: ٢/٢٢٤ .

(٤) هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، غزا مع رسول الله ﷺ حنيناً وشهد معـه حجة الوداع ، قيل استشهد في يـوم أجنادين في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وقيل قُتل يوم اليرموك سنة خمس عشرة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ . يُنظر: الاستيعاب: ٣/١٢٦٩ – ١٢٧٠ ، والإصابة: ٥/٢١٢ .

(٥) فتوح الشام: ٢/٢٢٤ – ٢٢٥ .

ثم استدعى زياد بن أبي سفيان [1] وسلّمه الراية ، وكان ﷺ فارساً عظيماً وبطلاً صنديدا فتسلم الراية وتوجه وهو ينشد [2]:

أَنَا الفَارِسُ المَشْهُورُ يَـوْمَ الوَقَـائِعِ ... بِجَدٍّ حسام في الجَماجِمِ قَـاطِعِ
وَرُمحِي عَلَى الأَعْدَاءِ مَا زَالَ طَـائِلاً ... إِذَا التَحَمَ الأَعْدَاء لِلضِدِّ قَـاطِعِ
وَعَزْمِي في الهَيْجَا مَـا زَالَ مَاضِيَـا ... بِرَأيٍ سَدِيدٍ لِلمَحَاسِنِ جَـامِعِ
أَصُولُ عَلَى الأَعْدَاءِ صَولَةَ قَـادِرٍ ... وَاشبِعُهُم ضَرْبَاً بِبَعْضِ لَوَامِـعِ
أَنَا ابن أَبِي سُفيانَ من نَسْلِ حَـارِثٍ ... تَمُوتُ العِدَا مِنِّي وَكُلٌّ مُنَـازِعِ

ومن القادة الذين استدعاهم وسلمه راية ، أبو دجانة الأنصاري ، فتسلم الراية ومضى متوجها نحو اللقاء ، فقال [3]:

أَسِيرُ باسْـمِ الوَاحِـدِ المَنَّـانِ ... جَهْرَاً لأهلِ الكُفـرِ والطُّغيَـانِ
أُذِيقَهُم ضَرْبَاً عَلَـى الأَبْـدَانِ ... بِكُـلِّ هِنْـدِي مُبِيـدِ الجَـانِ
انصُر دين مُصْطَفـى العَدْنَـانِ ... صَلَّى عَلَيْـهِ المَلِـكُ الدَّيَّـانِ

بل إنَّ حبهم للجهاد والإقدام نحو الأعداء كان يُنسي أحدهم ما عاناه من أذى الأسر الذي لاقاه من الكافرين ، فعندما خلص ضرار بن الأزور من الأسـر حمـد الله ﷻ أنْ أزال همه وفرّج كربته ، وردَّ له قوته ، وأُقسم على الإقدام نحو الأعداء وقتالهم وتشـريد جمعهم ، فركب جواده عرياناً وأخذ قناة كانت مطروحة ، وحمل علـى القـوم ، وهـو يردد [4]:

لَكَ الحَمْدُ يَا مَولايَ في كُلِّ سَـاعَةٍ ... مُفَرِّجُ أَحْـزَانِي وَهَمِّـي وَكُربَـتِي
فَقَد نِلْتُ مَا أرجوهُ مِن كُلِّ رَاحَـةٍ ... وَجَمَعْتَ شَمْلِي ثُم أَبْـرَأت عِلَّتِـي

---

(١) هو زياد بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قائد شجاع شارك في فتوح الشام ، فابلى في هذه المعارك بلاء عظيمـا فما زال كذلك حتى استشهد . ينظر: فتوح الشام: ٢/٢٢٥ – ٣٠٠ .

(٢) فتوح الشام: ٢/٢٢٥ .

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٢٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٢/٢٣٢ .

سَأَفْنِي كَلْبَ الرُّوم في كُلِّ مَعْرَكٍ ... وَذَلِكَ والرَّحمـــن أَكْبَرُ هِمَّتِي
فَيَا وَيْلَ كَلْبِ الرُّوم إِنْ ظَفَرَت يَدِي ... بِهِ سَوْفَ أُصْلِيهِ الحُسَامَ بِنَقْمَتِي
واتركهُمْ قَتْلَى جَمِيعاً عَلَى الثَّرَى ... كَمارمة في الأَرْضِ عظم ضَرْبَتِي

ولا تزال المعركة مستمرة والفرسان تتبارز فيما بينها ، وفرسان المسلمين يتقدمون الصفوف عازمين على النصر أو الشهادة لا شيء غيرهما ، وهذا ضرار بن الأزور اقبل يركض بجواده وبيده سيف صارم يفري به الأعداء ، فلما قرب من العدو انشد [1]:

لَقَد مَلَكَتْ يَمِيني سِنَانًا وَصَارِمًا ... أَذِلُّ عُدَاةَ السوءِ إِنْ جِئتُ قَادِحَا
واتركَهُمْ شبه الرخام إِذَا مَشَى ... عَلَيهِ شُجَاعٌ لَا يَزَالُ مُصَادِمَا

وهم يقاتلون أعداء الإسلام لم ينسوا وصية أميرهم عمرو بن العاص في دعوتهم إلى الإيمان بـ (لا اله إلا الله ، محمد رسول الله) ، فهذا الفضل بن العباس يدعو الأعداء إلى أَنْ يؤمنوا بالله تعالى رباً واحداً لا شريك له ، وأَنَّ محمداً رسول الله أرسله الله تعالى هاديا للعالم ، فقال [2]:

أَقِرُّوا بِأَنَّ اللهَ لا رَبَّ غَيرُهُ ... وَإِلَّا تَرَوا أَمْراً عَظِيمَاً مُدَانِيَا
أَقِرُّوا بِأَنَّ اللهَ أَرْسَلَ أَحْمَداً ... نَبِيًّا كَرِيمًا للخلائِقِ هَادِيَا

فتمكنوا من تحقيق النصر على الأعداء وحاصروه في مدينة البهنسا [3]، فنزل كل أمير من المسلمين بجماعته حتى تكاملوا ، وتأخر الأمير خالد بن الوليد وبقية الأمراء الذين معه ، ولما بات أصحاب رسول الله ﷺ قال لهم ضرار بن الازور: أظنكم انتم المحاصرون وأعداؤكم في أكل وشرب فما هذا القعود ؟ فكان لمقال ضرار هذا أثر في نفوس الأمراء والجنود فتقدموا نحو أبواب المدينة ، وضرار فيمن تقدم نحوها يريد اقتحامها وإضرام النار فيها ، وقتل الأعداء المتحصنين فيها ، فأخذ ينشد [4]:

---

(١)فتوح الشام : ٢/٢٤٤ .

(٢)المصدر نفسه : ٢/٢٥٢ .

(٣) البهنسا: مدينة من الصعيد الأدنى غربي النيل . ينظر: معجم البلدان: ٢/٤٠٦ .

(٤) فتوح الشام:٢/٢٩١ .

سَأَضْرِب في العَلُوج بِكُلِّ عَضْب ... شَدِيد البَاسِ ذِي حَدٍّ صَقِيلِ
وَأَضْرِمُ في عُلُوِ البَابِ نَارًا ... وَأُرمِي القَوْمَ بِالخَطب الجَلِيلِ
سَأَقتُلُ كُلَّ بَاغٍ كَانَ مِنْهُم ... بِحَدِّ السَّيفِ والبَاعِ الطَّوِيلِ

فكان النصر حليف المسلمين في هذه المعركة ، فجاء خالد بن الوليد ومن معه من أمراء المسلمين إلى مكان المعركة فوجدوا الشهداء مطروحين ، وكان من بينهم القائد المقدام زياد بن أبي سفيان ﷺ وفيه عشرون طعنة بالرمح ، وأربعون ضربة سيف ، وإلى جانبه أخوه هبار وفي رأسه عشرون ضربة سيف وواحدة في فخذه قطعته [1] ، فبكى خالد عليهم ، واستذكر مواقف القائد زياد أيام كان يقود المجاهدين إلى ساحات الوغى وهو يزلزل أركان الأعداء ، فهو فارس مقدام على الأعداء في مكان ، فقال خالد[2]:

لَقَد كَانَ في بَحْرِ المَعَامِع صَائِلاً ... يُزَلزِلُ أَرْكَانَ العِدَا وَيُضَعْضِعُ [3]
وَقَد كَانَ مِقْدَام الفَوَارِس كُلِّهَا ... بِكُلِّ مَكَانٍ لِلأَعَادِي مقمعُ

فدخل المسلمون المدينة من أبوابها ، فكان أول من دخل ضرار بن الازور ، لكن فرحة الانتصار لم تنس ضراراً قسمه في جهاد الأعداء وقتل أبطالهم بالسيف ، فأنشد[4]:

لارضِيَنَّ إِلهِي في جِهَادِهِم ... وَقَتلِ أَبْطَالِهِم بِالسَّيفِ والدِّرَعِ
يَا وَيلَ كَلبِ العِدَا البطلوس إِنْ وَقَعَتْ ... عَيْنِي عَلَيهِ لأرديه إِلى الصَّرْعِ
عَيْبٌ عَلَيَّ إِذَا مَا التقيته هنا ... وافلق الرأس منه غَيرَ مُرتَدِعِ

إِنَّ إقدام هؤلاء المجاهدين الأبطال على التضحية والاستشهاد دليل على سلامة المنهج الذي سلكوه وصدقه[5]، فواصلوا المسيرة نحو سحق الجموع الكافرة ، ونشر الرسالة الخالدة ، فلم يتوقفوا لحظة عن أداء هذا الواجب لأنهم يدركون حجم المسؤولية

(١) فتوح الشام : ٢/٣٠٠ .
(٢) مصدر نفسه .
(٣) الضعضعة: الخضوع والتذلل . ينظر: اللسان: ٤/٢٥٨٦ (ضعع) .
(٤) فتوح الشام: ٢/٣٠٢ .
(٥) ينظر: شعر العقيدة: ١٧٤ .

الملقاة على عاتقهم وهم يسجلون لهذا الدين أروع صور الفداء [1]، ففي معركة مرج رغبان حمل خالد بن الوليد على الأعداء ، فأراد عياض بن غنم التقدم نحوهم لكي يقاتل الأعداء ويساند خالد وكان مع جيش عياض هذا غلام من أهل المدينة اسمه جميل [2] بن سعد الداري ، وكان أرمى خلق الله بالنبل ، وكانت له أمٌ عجوز فقال لها: يا أماه أريد أنْ أُجاهد هذا اليوم في الله حق جهاده ، فَلَعَلِّي الحق بإخواني الذين قتلوا بين يدي رسول اللهﷺ فودعها وسار ، فقالت وهي تشجعه على الإقدام ، : يا بني سر والله ينصرك ويؤيدك ، فلما كان قتال يوم عين وردة [3] تقدم وقتل ثلاثين بطريقاً ، فجعل أحد قادة الأعداء يرمي بالمنجنيق ، فقال الناس لجميل: أيُها الغلام ابعد لئلا يصل إليك حجر المنجنيق فإنا نخاف عليك منه ، فقال: يا قوم سمعت رسول الله ﷺ يقول في كتاب الله العزيز ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [4] فلابُد أن أقدم نحوهم ، كيف لا يقدم وهو يريد الشهادة فهي لا تنال بالتردد والتراجع ، بل تُريد مجاهداً مقداما نحو الأعداء ، وكان سعد يرمي فلا يخطئ وهو يقول: وا أشواقاه إلى الشهادة وَأَنْ أَصِلَ إلى دار العلم والشهادة فسمع مناديا يقول: إنْ أردت ذلك فبادر إلى ذلك ولا تخف ولا تحاذر وأطلق عنان كليتك في ميدان طلبتك وإياك والتخلف عن بابنا فمن أردنا أردناه ، ومن أحبنا أحببناه ، فقال: ها أنا أتقدم وجناني في الحقيقة لا يتألم ، قد بعت منك نفسي فأقبل شراها فعسى أن آتي الجنة وأراها ، فقيل له: قد قبلناك فامرح وأطلق لسانك وافرح ، فمن باع نفسه منا لم يكن بمغبون ، واسمع ما سطرناه في الكتاب المكنون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [5] فلما سمع ذلك اطمأن قلبه وزاد حبه للشهادة ، فتقدم نحو الأعداء فتقاتل مع

---

(١) يُنظر: الشعر والفتوح الإسلامية: ١١ .

(٢) يُنظر: فتوح الشام: ١٤٦/٢ – ١٤٧ .

(٣) عين الورد: راس عين المدينة المشهورة بالجزيرة . يُنظر: معجم البلدان: ٣٧١/٦ .

(٤) سورة النساء: الآية ٧٨ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ .

عدو له فضرب جميل ضربة بالنبل في صدره ومرت من ظهره ، فنظر جميل إلى الحجر وقد علم إنَّه ميت ، فالتفت إلى ابن عم له [1]، وأنشد في هذه الأبيات [2]:

أَيَا رَافِعًا أَلَا حَمَلْتَ رِسَالَتِي ... تُخْبِرُ أَنِّي قَدْ لَقِيتُ حِمَامِي

وَإِنْ جِئْتَ أُمِّي رَافِعًا وَعَشِيرَتِي ... فَخُصَّهُمُ مِنِّي بِكُلِّ سَلَامِ

وَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ قُتِلْتُ لأَنَّنِي ... أُرَجِّي بِقَتْلِي فِي الْجِنَانِ مَقَامِي

فبلغ الخبر أمه ، فصبرت صبر الكرام وقالت: يا بني عشت سعيداً ، ومت شهيداً ، وسلكت سبيل آبائك فرحمك الله وآنس غربتك ونفعني بك يوم القيامة [3].

إنَّ في إقدام شهداء هذا العصر الأبرار ، يتجلى لنا (الإخلاص للعقيدة ، والاندفاع في طلب الشهادة من أجلها ، والصبر على مواصلة القتال ، ومقارعة الأعداء في سوح الطعان ، وعدم السآمة من الحرب) [4] فأصبحوا قادرين على عدوهم ، فهزموا الجيوش، ودكوا العروش ، عروش فارس والروم ، فأصبحت نسيا منسيا .

٤. الكـــرم:

صورة من صور الخلق العربي الأصيل في مجتمع تنافس فيه الأجواد في إكرام الضيف وتقديم يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين [5]، لأنهم وجدوا في الكرم (مصدر ثناء وبقاء وخلود ذكر إذا ما طوى الموت الكريم) [6] الذي لن يحمل معه شيئ من ماله أو متاعه عندما يغادر الحياة ، بل ستفنى هذه الأموال ويفنى ذكره إن هو أبقاها بجواره ينظر إليها [7]، لكنها ستكون ذكره الخالد وعمره الثاني بين الناس إنْ هو أنفقها[8].

---

(١) ينظر: فتوح الشام: ١٤٦/٢ – ١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٢ .

(٣) الفتوح: ١٤٧/٢ لابن أعثم الكوفي.

(٤) نحات من البطولة العربية في شعر الحرب في القرن الأول للهجرة: ١٦ ، غانم جواد رضا .

(٥) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨ ، د. بشرى الخطيب .

(٦) هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: ٤٤١ ، د. عبد الرزاق خليفة الدليمي.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٨ – ٤٤٩ .

(٨) ينظر: عيون الأخبار: ٢٠١/٣ – ٢٠٢ .

لذلك (أُحب العربي الكرم إلى حد العشق) [١]، فهذا حاتم الطائي كان جواداً (يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله) [٢]، فمنزل الكريم (وسط الناس ويكون قبلة أنظار الضيوف ، لا بعيداً منعزلاً منفرداً بنفسه في الأماكن غير الأهلة كما يفعل البخلاء من الناس) [٣] ، (فالبخيل عندهم ينزل في بطون الأردية ويبعد عن الطريق مخافة الضيف) [٤] ، لهذا نجد طرفة بن العبد ينفي عن نفسه أن يكون ممن يستتر في التلاع حتى تواريه من الناس لكي لا يراه ابن السبيل والضيف ، بل يسكن الفضاء ويعطي من يستعطيه ، ويعين من يستعين به [٥] ، فقال [٦]:

وَلَسْتُ بِمِحلال التِّلاعِ لِبيتَةٍ ... وَلَكِن مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوم أَرْفَدِ

وكان (حاتم إذا سُئِل وهب ... ، وكان إذا أهل الشهر الأصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشراً من الإبل ، فأطعم الناس واجتمعوا إليه) [٧]، ولم يكن الكرم عند العرب على درجة واحدة ، بل على ثلاثة مراتب (سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء وهو أشرف درجات الكرم وبه استحقوا ثناء الله عَزَّ وَجَلَّ) [٨]، ولابد للكريم أنْ يراعي في عطيته كرامة السائل وصيانتها من المذلة ، فقد يُعْطِي الرجل مالاً كثيراً ولكن لا ينال الحمد على هذا العطاء ، وقد ينال الرجل الفقير الحمد بحسن معاملته مع السائل ، (فما كل من أَعْطَى مالاً أُعْطِي حمداً ، ولا كل عديم ذميم) [٩]، وسئل أحدهم عن أجود الناس فقال: (إنَّه من جاد عن قلة وصان وجه

---

(١) هدى الخلود في الشعر العربي: ٤٤١ .

(٢) الأغاني: ٣٦٦/١٧ .

(٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٦ .

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين: ٢٩/٢ .

(٥) ينظر: نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام دراسة وتحليل: ٢٦٩ ، د. نوري حمودي القيسي ، د. محمود عبد الله الجادر، د. بهجت عبد الغفور الحديثي .

(٦) ديوانه: ٢٤ .

(٧) الأغاني: ٣٦٦/١٧ .

(٨) غاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠٤/٣ .

(٩) عيون الأخبار: ٢٠٢/٣

السائل عن المذلة) [1] ، وهذا ما تحلى به حاتم الطائي في عطائه للنـــاس ، حيـــث يقول [2]:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْـــلَ إِنْـــزَالِ رَحْلِـــهِ ... وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالمَحِلُّ جَدِيْـــبُ

وَمَا الخِصْبُ للاضيَافِ أَنْ يُكْثِرَ القِـرَى ... وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الكَـــرِيمِ خَصِيـــبُ

وقد اتبع الكرماء أساليب عدة لاستقبال الضيوف الطارقين ليلا كإيقاد النار على مرتفـــع أو إرغاء البعير أو وضع رقيب على مرتفع [3]، فالكرم عندهم قيمة أصيلـــة فـــي نفوســـهم توارثوها عن الآباء وبفضلها يتحدون حدود الزمن ، فهو الممكن الوحيـــد لخلـــود الذكـــر وحمد الناس في هذه الحياة [4]، فهذا معن بن أوس يجسد ذلك فقال[5]:

أَبِي لا يُطِيـــعُ العَـــاذِلاتِ وَلا يَـــرَى ... مِن المَوْتِ حِصْنا لِلبَخِيلِ مُشَـــيَّدَا

فَلا تَجْمَعِي بَـــذْلِي وَوُدِّي وَنُصْـــرَتِي ... وَأَنْ تَجْعَلِي فوقي لســـانكِ مِـــبْرَدَا

سَأَوثِرُ بِالمَعْرُوفِ عِرْضِي مِـــنَ الأَذَىٰ ... وَأَدْنُـــو مِـــن المُعْتَـــرِّ أَنْ يَتَبَعَّـــدَا

بل وصل الحد بإحدى العوائل العربية الأصيلة الكريمة أن يتطوع أحد أبنائها أن يكـــون طعاما للضيف الذي حل عليهم ليلا وهم ليس عندهم شيء يقوتهم وعندما همَّ الابُ في ذبح ابنـــه دعا الله تعالى أن يرزقه لحما حلالا يُطعم به ضيفه فاستجاب الله تعالى دعاءه إذ مرَّ من قرب بيته قطيع من حمر الوحش في طريقه إلى مورد الماء ، فاستطاع أنْ يصطاد واحـــدة وأكـــرم منها ضيفه وأهله ، فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم [6]. فالعربي الكريم حريص على إكـــرام ضيفه ، لان ضيفه هذا كفيل له بتخليد ذكره الحسن وهو يتنقل من مكان إلى آخر ، ولم يتغـــير خُلق الكرم عند العرب حتى بعد مجيء الإسلام ، بل إنَّ الإسلام قد شجع على الكرم وثمنـــه

---

(١) العقد الفريد: ١٢٩/١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) يُنظر: البخلاء : ٢٣٧ – ٢٤٤ للجاحظ ، وديوان المعاني: ٢٨٦/١-٢٩٠ لأبي هلال العسكري ، والحياة العربية مـــن الشعر الجاهلي: ٣١٤ – ٣١٨ ، للدكتور احمد محمد الحوفي ، والرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٧ .

(٤) يُنظر: هاجس الخلود في الشعر العربي: ٤٥٠ .

(٥) ديوانه: ٨٢ ، صنعه د. نوري حمودي القيسي ، ود. حاتم صالح الضامن .

(٦) يُنظر: ديوان الحطيئة: ٣٣٧ – ٣٣٨ ، تحقيق د . نعمان محمد أمين طه .

ومن ذلك موقف سفانه بنت حاتم الطائي عندما كانت أسيرة مع سبايا قومها ، فلما مرَّ بهم رسول الله ﷺ قالت سفانه: (يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فَإِنْ رأيت أَنْ تُخلي عني فلا تُشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي ، كان أبي يُفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويُفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يَرُدّ طالب حاجة قط ، أَنا بنت حاتم الطائي ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباها كان يحبُّ مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق) [1] . فالكرم عند العرب قبل الإسلام كان وسيلة الغاية منها كما رأينا تخليد الذكر الحسن للرجل الجواد بعد موته ولا شيء آخر غير ذلك ، وكان لهم ذلك فالكرماء معروفون بين الناس على مر العصور ، أمَّا الكرم في الإسلام فأصبح وسيلة المؤمن لكي ينال بها رضا الله تعالى والفوز بجنته فالله تعالى دعاهم إلى الإنفاق في سبيله تعالى فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ [2] ووعدهم ﷻ انَّه سيضاعف أموالهم التي سينفقونها في سبيله ، فقال: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] واخبرهم الله تعالى أنَّ ما ينفقونه هو لانفسهم ، لان الله تعالى سيوفيهم أجورهم يوم القيامة كاملة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[4] وحذرهم الله تعالى من البخل بما عندهم من ماله تعالى ، لان ذلك شرّ لهم يوم أن يرث الله تعالى

---

(١) الأغاني: ١٧/٣٦٥ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٤ . ويُنظر: المعنى نفسه في الآية ٢٦٧ ، وسورة إبراهيم: الآية ٣١ ، وسورة سبأ : الآية ٣١ ، وسورة التغابن: الآية ١٦ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦١ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

السموات والأرض قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فسارع الصحابة الكرام إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى سراً وعلانية يبتغون فضل الله ومثلما جاهدوا بأنفسهم في سبيل الله تعالى فقد جاهدوا بأموالهم (يجهزون أنفسهم بما يحتاجون أليه من سلاح ودواب وأرزاق ، ويخلفون المجاهدين من إخوانهم بالخير في عوائلهم وذويهم ، وينفقون عليهم كما ينفقون على من يعولون من عوائلهم وذويهم)[2] لذلك قدم رب العزة والجلال الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس لما له من أثر مهم في تجهيز الجيوش الإسلامية قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[3] ومن يجود بنفسه لا يبخل بماله فشهداء صدر الإسلام كانوا سباقين إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى لأنّ هذا السخاء يقربهم إلى الله تعالى وإلى جنته فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "السخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل"[4] وقد أدى الشعر دوره في تأكيد وإعلاء سجية الكرم التي اتصف بها الشهداء المسلمون الذين ما اكتفوا بإنفاقهم الأموال في سبيل الله تعالى فخرجوا يجودون بأنفسهم فاستحقوا بذلك أنْ يكونوا قدوة الجود والكرم الخالص لله تعالى لا تشوبه شائبة فهذه هند بنت أُثاثة ترثي زوجها عبيدة بن الحارث بأشعار أوحت فيها وفاء الزوجة لزوجها فقد خلدت كرمه وجوده فهي خير من يثبت لنا ذلك لأنها اقرب الناس إليه وهي راعية في بيته تعد الطعام لضيوفه الغرباء في أصعب الظروف والأوقات فالناس قد أصابهم القحط والجدب وهم يعانون

---

(١) سورة ال عمران: ١٨٠ ويُنظر: المعنى نفسه في سورة السماء: ٣٧ ، وسورة يس: ٤٧ وسورة محمد ﷺ : ٣٧ – ٣٨ ، وسورة الحديد ٢٣ – ٢٤ .

(٢) جيش الرسول: ٧٨ محمود شيت خطاب .

(٣) سورة التوبة: ٢٠ ويُنظر: المعنى نفسه في سورة البقرة: ٢٦١ وسورة الحديد: ١٠ وسورة الصف: ١١

(٤) سنن الترمذي: ٣٤٢/٤ .

قسوة ليالي الشتاء الباردة فكانوا بأمس الحاجة إلى الراحة والدفء والطعام[1] . فوجدوا ذلك في بيت عبيدة إذ اهتدوا بناره التي أوقدها بالحطب الجزل حتى تبقى مشتعلة إذ يهتدي بها طارق الليل البعيد،ولم ينس الأرامل والأيتام فقد شملهم بعطائه. فهو يرعاهم ويقضي حوائجهم فقالت:[2]

لَقَد ضُمِّنَ الصَفرَاء مَجْدَاً وَسُؤدداً ... وَحِلماً أَصِيلاً وَافرَ اللُّبِ وَالعَقْلِ
عُبيدة فابكِيهِ لأَضْيَافِ غُربَةٍ ... وَأَرمَلَةٍ تَمْوِي لأَشْعَث كَالجَذْلِ
وَبَكِّيهِ لِلأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ... إِذَا احْمَرَّ آفاق السَّمَاء مِن المَحْلِ
وَبَكِّيهِ لِلأَيْتَامِ والريحُ زَفْزَفٌ ... وَتَشْبِيب قِدر طَالَمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِي
فَإِنْ تُصبحِ النِّيران قَد مَاتَ ضَؤوهَا ... فَقَد كَانَ يذكيهنَّ بِالحَطَبِ الجَزْلِ
لِطَارِقِ لَيلٍ أَوْ لِمُلْتَمِسِ القِرَى ... وَمُسْتَنْبِحٍ أَضْحَى لَدَيهِ عَلَى رسلِ

(فالذي يقدم كرمه في مثل هذه الظروف القاسية ولكل هؤلاء الناس وهم في تلك الحالة البائسة جواد إلى درجة الإيثار) [3]، فهذا حمزة بن عبد المطلب ﷺ نراه في ليالي الشتاء البارد يعقر الإبل للضيوف ، وهذه الإبل التي يقدمها للضيوف ليست هزيلة أو سقيمة ، بل عظيمة السنام ، قوية ، هذا ما أثبته كعب بن مالك في حق حمزة فقال [4]:

قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... حَيث النُّبُوَّة والنَّدَى والسُّوَدَد
والعَاقِرُ الكُومَ الجِلاد إِذَا غَدَتْ ... رِيحٌ يَكَاد المَاءُ مِنْهَا يَجْمُد

إِنَّ إكرام الضيف جزء من عقيدة المؤمن لقوله ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " [5]، فحمزة يقدم الطعام في جِفان كثيرة لضيوفه في وقت الجدب والقحط ، فهذا حسان بن ثابت يبين ذلك فقال [6]:

---

(١) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦١ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٩

(٣) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٥ .

(٤) ديوانه: ١٦٠ .

(٥) صحيح البخاري: ٥/٢٢٤٠ ، صحيح مسلم: ٦٨/١ .

(٦) ديوانه: ٣٢١ .

المـــاليءِ الشِّـــيزَى إِذَا أَعْصَفَـــتْ غَبْرَاءُ فِي ذِي السَّـــنَةِ المَـــاحِلِ

وحمزة عندما يستجيب لدعوة الكرم في مثل هذه الظروف الحرجة التي تتعدم فيـــها مظاهر الحياة الإنسانية الطبيعية فيأوي اليتيـــم الضـــائع والضيـــف الجـــائع ، والأرملـــة الوحيدة[1]. لا يمكن أن يُنْسَى جوده وكرمه ، فهو بحر في العطاء ، لذلك نجد حسان بـــن ثابت يقسم الله العظيم أنَّـــه لا ينسى سخاء حمزة وكرمه ورعـــايته ، فقال [2]:

يَا حَمْزَ لَا وَاللهِ لَا أَنْسَاكَ مَـــا صُـــرَّ اللقـــائِحْ
لِمُناخ أَيتَـــامٍ وَأَضْـــيَافٍ وَأَرْمَلَـــةٍ تُلامِـــحْ
يَعْلُوا القَمَاقِمَ جَهْرَةً سَبْطَ اليَدَينِ أَغَرَّ وَاضِـــحْ
لَا طَائِشُ رَعِشٌ وَلَا ذو عِلَّـــةٍ بِـــالحَمْلِ آنِـــحْ
بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَارًا منهُ سَـــيْبٌ أَوْ مَنَـــادِحْ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدَيهِ لَهُ طُوَالَ الدَهـــرِ مَـــائِحْ

واستشهد مع حمزة في معركة أحد شباب من المسلمين كرماء أَجـــواد ، يشـــترون رضا الله تعالى بأموالهم التي ينفقونها في سبيله تعالى ، قال حسان مجسداً ذلك [3]:

أَوْدَى شَبَابُ أُولِي الحفائِظِ والثَّقِيلُونَ المَرَاجِـــحْ
المُطْعِمُونَ إِذَا المَشَاتِي مَـــا يُصَفِّقُـــهُنَّ نَـــاضِحْ
شُمٌّ ، بَطَارِقَةٌ ، غَطَارِفَةٌ ، خَضَارِمَـــةٌ مَسَـــامِحْ
المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بالأَمْوَالِ إِنَّ الحَمْـــدَ رَابِـــحْ

ومن هؤلاء الشباب الكرماء ، شماس بن عثمان ، فهذه زوجته نعم تذكر لنا كرمـــه وسخاءَه فهو يطعم الناس ويكسوهم ، فقالت [4]:

أَقُولُ لما أَتَى النَّـــاعِي لَـــهُ جَزَعًـــا أَوْدَى الجَوَادُ وَأَوْدَى المُطْعِمُ الكَاسِي

(١) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٦٢ .

(٢) ديوانه: ٤٥٠ – ٤٥٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٥١ .

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٣ .

ومثلما عُرِفَ أُمراء رسول الله ﷺ بشجاعتهم وإقدامهم في ساحات ضد الأعداء الكافرين ، عُرِفُوا وفضلوا في حياتهم الاجتماعية ، فهم كرماء في ساعة الحاجة ، ومن هؤلاء الأمراء ، قادة رسول الله ﷺ إلى جيش مؤتة ، فهذا كعب بن مالك يؤكد لنا فضل هؤلاء القادة وكرامتهم ، فهم من نسب أصيل ، وعطاؤهم واسع كثير في أيام القحط الشديد ، فقال [1]:

فَضَلُوا المَعَاشر عِزَّةً وتكرُّمًا ... وَتَغَمَّدَتْ أَحلامهُمْ من يَجْهَل

بِيضُ الوُجوه تُرَىٰ بُطونُ أكفِّهم ... تَندَىٰ إِذَا اعتذرَ الزَّمَانُ المُمْحِل

وكان جعفر بن أبي طالب ﷺ القائد الثاني لهذا الجيش ، فكان لاستشهاده أثر في نفس حسان ، إذ أشاد بمنزلته وأصالة نسبه وجوده وكرمه ، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخو الإمام علي ﷺ وهو خير الناس واعزها ، لا يَدَّعي ولا ينتحل الكذب ، بل هو صادق كريم ، يداه تشعان جوداً وعطاءً ، فهو أكثر الناس أفضالاً وإحساناً ، وهو هادي البشرية إلى الخير بعد النبي ﷺ [2]، فقال حسان [3]:

بَعْدَ ابْنِ فَاطمةَ المُبَارَكِ جَعْفَرٍ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلِّهَا

رُزِءَا وأَكْرَمِهَا جميعاً مَحْتِداً ... وَأَعَزِّهَا مُتَظَلِّماً ، وَأَذَلِّهَا

لِلْحَقِّ حِينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... كَذِباً ، وأَغْمَرِها بَبَدْأٍ وَأَقَلِّهَا

فُحْشاً ، وَأَكْثَرِهَا إِذَا مَا تُجْتَدَى ... فَضْلاً وأَبْذَلِهَا نَدَى وَأَدِلِّهَا

عَاخْتُرْ ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ لا شِبْهَهُ ... بَشَرٌ يُعَدُّ مِنَ البَرِيَّةِ جُلِّهَا

إنَّ استشهاد الكريم له أثره على من كان يرعاهم بكرمه وجوده ، وسيفتقده ضيوفه الذين كانوا يجدون في بيته أصول الضيافة ، فأبو خراش الهذلي يقول إنَّ ضيوفه قد أصابهم الضعف والهزال عندما فقدوا صاحب الجود والكرم ، وراعي المحتاجين الذي قتله جميل بن معمر ، وهذا الكريم ليس غريباً على أبي خراش الهذلي ، فهو ابن عمه

(١) ديوانه: ٢٠٦ .

(٢) ينظر: شرح ديوان حسان: ٣٩٣ .

(٣) ديوانه: ٣٢٣ .

(زهير بن العجوة الهذلي) ، فهو يدرك كرمه ومقدار سخائه ، فيقول: تراه في فصل الشتاء وعند هبوب رياح الشمال الباردة ، يأتيه السائل يستعطيه ، فإذا لم يجد ما يعطيه إياه ، نزع أزاره الذي عليهوأعطاه إياه ، وتحمل هو شدة برودة هذه الرياح أمّا منزله ، فيقول: إنّه مأوى الغريب الجائع ، وإليه يهتدي الفقراء المساكين الذين آذاهم برد الشتاء ، فما عليهم من ثياب بالية ممزقة لا تقيهم هذا البرد ، لذلك خرجوا ليلا يبحثون عن ملجأ يأوون إليه ، فاهتدوا إلى بيته بفضل نباح كلابه التي جعل منها دليلا يهتدي به السائل والضيف [1] فقال[2]:

فَجَّعَ أَضْيَافي جَميلُ بنُ مُعْمَرٍ ... بِذِي فَجْرٍ تَأْوِي إِليه الأَرَامِلُ

تَكَادُ يَدَاه تُسْلِمَان رِدَاءَهُ ... مِن الجُودِ لما اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمائِلُ

إِلى بَيْتِهِ يَأْوِي الغَرِيبُ إِذَا شَتَا ... وَمُهْتَلِكٌ بَالِي الدَّرِيسِين عَائِلُ [3]

تَرَوَّحَ مَقْرُوراً وَرَاحَتْ عَشِيَّةً ... لَهَا حَدَبٌ بِحَتِّهِ فَيُوائِلُ

إنّ حرص شعراء المسلمين على تأكيد وترسيخ كرم الشهداء ، جعلهم ينتهجون كل وسيلة من شأنها إثبات هذه الصفة لهم ، فالدعا بالسقيا لقبر الشهداء إشارة إلى معنى الكرم في ذات الشهداء ، الذين كانوا يغيثون المحتاجين في حياتهم بعطاياهم وكرمهم ، والراثي عندما يعمم الغيث على كل الأراضي فهو يؤكد بصورة غير مباشرة شمول كرم الشهداء لكل الناس المحتاجين [4]، وهذا واضح في رثاء ابن الغريزة [5] النهشلي لشهداء

(١) ينظر: شرح أشعار الهذليين: ١٢٢١/٣ .

(٢) ديوان الهذليين : ق٢ /١٤٨-١٤٩ .

(٣) الدريسان: الثوبان الخلقان ينظر اللسان ١٣٥٩/٢ (درس).

(٤) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٩٦ – ١٩٧ .

(٥) هو كثير بن العريزة أحد بني نهشل ، والغريزة أمه ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وقال الشعر فيهما . ينظر: الأغاني: ٢٧٩/١١ .

المسلمين الذين استشهدوا في غزوة الطالقان [1] وجوزجان بقيادة الأقرع بن حابس[2] الذي أمره عمر بن الخطاب ﷺ وكان ابن الغريزة قد شهد تلك الواقعة ، فقال [3]:

سَقَى مُزْنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّت ... مَصَارِعَ فِتيةٍ بالجوزجانِ

إلى القَصْرَين مِن رُسْتَاق خُـوط ... أَبادَهُمُ هُنَـاكَ الأَقْرَعَـانِ [4]

وهذا القعقاع بن عمرو التميمي الفارس الشاعر يؤكد لنا كرم صديقه العزيز خالد بن معمر التميمي الذي استشهد في معركة نهاوند ، بالطريقة نفسها التي أكد فيها ابن الغريزة لشهداء المسلمين ، فيدعو الله تعالى أنْ يسقى قبر خالد إذ ارتحل الأقوام وهو ثاوٍ في قبره ، بل إنَّ حبه الشديد لخالد جعله يؤكد في دعائه أنْ يرسل الله تعالى الغيوم المدجنات بالمطر فتسقي الأرض التي حل فيها قبر خالد وهو بهذا يشير بطريقة غير مباشرة إلى كرمه [5]، فقال [6]:

سَقَى اللهُ يَا خَوْصَاءَ قَبْرَ ابنِ يَعْمُـرٍ ... إِذَا ارتحلَ السُّـفَّارِ لَم يَتَرَحَّلِ

سَقَى اللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبرَ خَـالدٍ ... ذَهَابُ غُوادٍ مُدجِنَاتٍ تُجَلجِـلِ

إنَّ ما ذكرناه من أشعار أكدت ورسخت كرم الشهداء ﷺ الذين أنفقوا في أيام سلمهم أموالهم وما يملكون في سبيل الله تعالى ، وفي ساحة الحرب جادوا بأرواحهم لله تعالى ، وكان هؤلاء الشهداء جنوداً وأمراء جيوش ، وكرم كل واحد منهم لا يكون ولن يكون مثل كرم خلفاء المسلمين ، الذين شمل كرمهم القريب والبعيد ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، ومن يكون هكذا كرمه وينتقل إلى الرفيق الأعلى شهيداً ، فإنَّه سيترك فراغاً

---

(١) الطالقان: بلدتان أحدهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، بينهما وبين مرو الروذ ثلاث مراحل ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر . والجوزجان كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ . ينظر: معجم البلدان: ٦/٢٣٩ و ٣/٩٠ .

(٢) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي المجاشعي الدارمي . ينظرالاستيعاب: ١/١٠٣ ، وأسد الغابة: ١/١٢٨ – ١٣٠ ، والإصابة: ١/٥٨ .

(٣) الأغاني: ١١/٢٧٩ – ٢٨٠ .

(٤) حوط: من قرى بلخ . ينظر: معجم البلدان: ٣/٢٦١ .

(٥) ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ١٩٦ .

(٦) شعراء إسلاميون: ٤٦ .

واسعاً ، فسوف يبكيه اليتامى والفقراء ، والأرامل والمساكين ، وعامة المسلمين لأنهم أدركوا أنّ ما كان يصلهم من كرم وعطاء سوف لَنْ يصل إليهم بعد ذهابه عنهم . ومن هؤلاء الخلفاء الكرماء الشهداء الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ففي عهده اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، فدخل الإسلام أعداد كثيرة من الناس ، فكثرت الرعية وكثرت حقوقها ومطالبيها ، لكن ذلك لم يثن من عزيمة الفاروق على أداء حقوق الرعية فرداً فرداً ، فكان يقضي حوائجهم وهو يتجول بين منازلهم ، وهذا ليس غريباً على رجل قد انفق قبل أنْ يكون خليفة (نصف ماله في سبيل الله) [1] ومن كرمه أنه كان يأمر عماله على الولايات الإسلامية أنْ يكونوا كرماء مع ذوي الحاجات ، فإنْ غلقوا أبوابهم بوجوه هؤلاء حلّت عليهم عقوبته [2]، فهو كريم وحريص على أنْ يتصف عماله بالكرم ، فهذا حسان بن ثابت يؤدي دوره تجاه خليفة المسلمين فيؤكد كرمه وسرعته إلى فعل الخيرات، فهو لا يقطب بوجوه سائليه ، بل يفرح بسؤالهم له ، فهو صادق ، يصدق فعله قوله ، مطيع لأمر الله تعالى وعارفاً لحدوده ، فهو عادل في كرمه وعطائه ، فالقريب والبعيد عنده سواء ، قال حسان [3]:

مَتَى مَا يَقُلْ لَا يكذب القول فعلـــه ... سَريع إلى الخَيرات غَيْرُ قَطُوب

مُطِيـــع لامـــر الله بـــالحَق عَـــارف ... بَعيدُ الأَنَام عِنْدَه لَقَريـــب [4]

أمّا الشماخ بن ضرار فيدعو الله ﷻ أنْ يجزي عمر خيراً وأنْ يُبارك أديمه الممزق لِما قام به من أعمال جليلة كثيرة خدم بها رعيته وأكرمهم وأعطاهم ، فيقول مؤكداً ذلك الكرم إنّ من أراد أنْ يبلغ ذلك أو يرتقي إلى غايته فإنّه سيظل مسبوقاً حتى لو ركب جناحي نعامة ، فهو إمام عادل قضى أموراً وأحكمها بجميل رأيه ، وترك وراءها دواهي لا تزال في أكمامها لم تكشف [5] ،

---

(١) يُنظر: الرسول القائد: ٣٢٢ ، محمود شيت خطاب ، وحيث الرسول: ٧٩ .

(٢) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ١٢٨ .

(٣) ديوانه : ٢٧٣ .

(٤) ورد هذا البيت مع أبيات أخرى منسوبة إلى عاتكة بنت زيد . يُنظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١١٦ .

(٥) يُنظر: الرثاء: ٥٨ ، د. شوقي ضيف .

فقال [1]:

جَزَى اللهُ خَيْرًا مِن أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ ... يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
فَمَن يَسْعَ أَو يَرْكَب جَنَاحَي نَعَامَةٍ ... لِيُدرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالأَمْسِ يُسبَقِ
قَضَيتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرتَ بَعْدَهَا ... بَوَائِجَ فِي أَكْمَامِهَا لَم تُفتَقِ

ولم تنسَ عاتكة واجبها تجاه زوجها الفاروق لتخبرنا عن جوده وكرمه، فهي خير من يبين لنا ذلك، لأنها شريكة حياته ورفيقة مسيرته، فمن بيت زوجها يخرج الجود والكرم للسائل والمحتاج، فتقول: إنه كان عصمة الناس من الانحراف في كسب المال لأنه قام بحقوقهم واجزل لهم العطاء، فأغناهم عمَّا في أيدي الناس، فكان خير معين للمسلمين على مصائب الدهر، يُغيث المحتاج والمحروم والمكروب، فتطلب من عينيها أن تجود على هذا الإمام العادل الجواد، فقالت [2]:

عَينْ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ ... لَا تَمَلِّي عَلَى الأَمِينِ النَّجِيبِ
عِصْمَةَ النَّاسِ وَالمعين عَلَى الدَّهْـ ... ـرِ وَغَيْثَ المنتَابِ وَالمَحْرُوبِ

إنَّ عدل عمر مع رعيته وسعة عطائه وكرمه لهم جميعا تجاوز شهادة الأنس بذلك، فالجن أيضا شهدت وأدركت خير عمر على هذه الأمة، فعندما استشهد رضي الله عنه بكت عليه وأيقنت أن خير هذه الأمة قد أدبر وذهب مع ذهاب عمر .

لِيَبْكِ عَلَى الإسلامِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا ... فَقَد أَوْشَكُوا هَلْكًا وَكُل عَلَى العَهْدِ
وَأَدْبَرَت الدُّنْيَا وَأَدْبَرَ خَيْرُهَا ... وَقَد ملها مَنْ كَان يوفق بِالوَعْدِ [3]

إنها كرامة الله تعالى لعباده الصادقين ، الذين أطاعوه بما أمر ، وانتهوا عمّا نهى وحفظوا حدوده ، وعدلوا في خلقه ، (فرحم الله عمر رضي الله عنه فقد زها عصره بالأمن والعدل

(١) ديوانه: ٤٤٨ – ٤٤٩ . ينظر: الفتوح: ٩٣/٢، والاستيعاب: ١١٥٨/٣ – ١١٥٩، ومعرفة الصحابة: ٢٢٤/١ لأبي نعيم الاصبهاني ، وفيها ان هذه الأبيات ناحت الجن بها على عمر ، وطبقات فحول الشعراء: ١٣٣/١ ، لجرير بن عطية .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧ .

(٣) الفتوح : ٩٣/٢ لابن أعثم الكوفي.

والفتح والأدب) [1] .

هكذا هو حال رجال الإسلام الذين تربوا في عهد رسول الله ﷺ مع الجود والعطاء فكانوا ﷺ سباقين إلى الخيرات ، ينفقون كل ما عندهم في سبيل الله تعالى لأنه تعالى قد وعدهم بأنه سوف يضاعفه لهم يوم القيامة أجراً عظيما ، لكنهم ما اكتفوا بإنفاق الأموال والمتاع ، بل جادوا بأقصى غاية الجود جادوا بأرواحهم رخيصة في سبيل الله تعالى الذي أعطاهم ثمنها جنات الخلد ذات النعيم المقيم .

٥. الحلم

الحلم في نظر العرب فضيلة تستحق الإشادة والتقدير ، ولم يكن الحلماء من الكثرة بمكان بحيث إنّ صفة الحلم لازمت بعضهم وغابت عن الكثير[2] ، والرجل الحليم يكون ذا معرفة وفطنة بأساليب الحياة ، ويكون قادراً على مواجهة مشاكلها ، فمن ذلك (ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال: جيء قيس بن عاصم بابن له قتيلا وابن أخٍ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من حديثه إلتفت إلى بعض بنيه فقال: قم إلى ابن عمك فأطلقه ، وإلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة ، فأنها غريبة لعلها أنْ تسلو عنه)[3] . فنحن نرى كيف استطاع هذا الرجل بفضل حلمه أنْ يحل هذا النزاع ويحقن الدماء ، فلا عجب بعد ذلك أن يكون الحلم مضرب أمثال العرب فقالوا: (الحلم مطية الجهول لاحتمال جهله وتركه الانتصاف منه)[4]. ولم تتغير صفة الحلم والتمسك بعد مجيء الإسلام بل حث على الاتصاف بها والعمل بموجبها ، ولأهمية هذه الصفة في خلق المسلم نجد أنّ الله تبارك وتعالى قد جعلها من أسمائه وصفاته الحسنى فقال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [5] ، لذلك نجد هذه الصفة حاضرة في خلق شهداء صدر

---

(١) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: ٣٢٥ .

(٢) يُنظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٣٥١ .

(٣) ديوان المعاني: ١/١٣٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١/١٣٣ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٥ .

الإسلام ومنهم عبيدة بن الحارث ، إذ كان ذا حلم أصيل وعقل راجح ، فهذه هند بنت أثاثة تبين ذلك فقالت [1] :

لَقَد ضُمِّنَ الصَفْراء مَجْداً وَسُؤدداً وَحِلْماً أَصِيلاً وَافر اللُّب وَالعَقْل

ولم تكن هذه الصفة غائبة عن حمزة بن عبد المطلب بل كان حليما عاقلا ، ليس بطائش رعش ولا ذي علة ، فهذا حسان بن ثابت يوثق ذلك فقال [2] :

لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا ذُو عِلَّةٍ بِالْحَمْلِ آنِحْ

فكان لحلمه ورجاحة عقله أثر مهم في أن يحتل منزلة هامة بين المسلمين ، فقد أصبح حرزاً أو ملجأً لهم من كل أمر ينزل بهم ، هذا ما أكده حسان بن ثابت فيقول [3] :

كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزاً لَنَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَابَنَا نَازِلِ

٦. الصدق

الصدق سجية عظيمة بها صلاح الشعوب وسلامة أمنها ، فإذا ما اتصف أبناء مجتمع ما بهذه الصفة فإن روابطهم وعلاقاتهم الاجتماعية سوف تكون متلاحمة كأنها بنيان مرصوص لأنها قامت على الصدق ، فلولا هذه الصفة (لانقطعت الروابط الإنسانية واعتراها الضعف وعدم الثقة وفقدت العقود والعهود قيمتها في التعامل الإنساني)[4] ، ولأهميته كان وصية الرجال لأبنائهم وحفدتهم ، فهذا عامر بن الظرب يقول في وصيته : (إني وجدت صدق الحديث طرفاً من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعودّه لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلّا جاء على ظنه) [5] ، بل أصبح الصدق مضرب أمثالهم فقالوا: (ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز من الصدق)[6]،

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: / ١٦٩ .

(٢) ديوانه: ٤٥١ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٢١ .

(٤) القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي في صدر الإسلام: ٢٩٦ . رسالة ماجستير – كلية الآداب بغداد – فاضل عواد – ١٩٨٢ .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣٨/٣ .

(٦) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢٥٤/٢ . محمد الابشيهي ، تحقيق عبد الله انيس الطباع .

وقال بعض الحكماء: (الصدق أزين حلية) [1] . ومع بزوغ فجر الإسلام تبوّأت سجية الصدق مكانة مهمة بين القيم الأخرى لأنها (عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل المروّة فلا تتم هذه الثلاثة إلّا به) [2] فذكرها المولى ﷻ في كتابه العظيم مادحا من اتصف بها فقال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾[4] وهذا الرسول الكريم ﷺ يحث الصحابة ومن جاء بعدهم على الصدق لأنه طريقهم الذي ينتهي بصاحبه إلى الجنة ، فقال "عليكم بالصدق فَإِنَّ الصدقَ يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يَصْدُق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وَإِيَّاكم والكذب ، فَإِنَّ الكذبَ يهدي إلى الفجور ، وَإِنَّ الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[5] ، وأخبرنا المصطفى ﷺ إنَّ الصدق ركن مهم من أركان إيمان المسلم فلا يكون مؤمنا حقا حتى يكون صادقا ، فقال عندما سئل : " المسلم يسرق ؟ قال : نعم ، قالوا : المسلم يزني ؟ قال: نعم ، قالوا : المسلم يكذب ؟ قال: لا " [6] .

فكانت لهذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة صداها وأثرها في نفوس أصحاب المصطفى ﷺ ، الذين تمسكوا بها وجعلوا منها عنوانا لهم يستدل عليهم بها ، فهذا حمزة بن عبد المطلب ﷺ وفى عهده لله تعالى صادقا حين جاهد الأعداء وقاتلهم بسيفه المرهف حتى نال الشهادة بطعنة من حربة العبد وحشي ، هذا ما أوثقه كعب بن مالك فقال [7] :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣/٢٣٧ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢/٢٥٤ .

(٣) سورة المائدة: الآية ١٢٢ .

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٥ .

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٠١٢ .

(٦) الموطأ : ٢/٩٩٠ .

(٧) ديوانه: ١٥٨ .

كَحَمْزَةَ لَمَّا وَفَّى صَادِقًا ... بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلْجَجِ [1]
فَلاقَاه عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ ... يُبَرْبِرُ كَالجَمَلِ الأَدْعَجِ
فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالشِّهَابِ ... تَلَهَّبُ فِي اللَّهَبِ المُوهَجِ

وقد استشهد مع حمزة في معركة أحد فتيان من المسلمين ، وهم أيضا قد صدقوا مع الله تعالى ، فصدق عملهم وجهادهم الأعداء قولهم ، فهذا حسان بن ثابت يوثق ذلك فقال[2]:

لَهَفِي لِشُبَّانٍ رُزِينَاهُم كَأَنَّهُمُ المَصَابِحُ
القَائِلِينَ الفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ والمَمَادِحُ

ويتجلى لنا هذا الصدق أيضا في الوفد الذي بعثه الرسول الكريم محمد ﷺ إلى أهل نجد لكي يدعونهم إلى الإسلام ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو[3] وفي الطريق غدر بهم أهل نجد وألبوا عليهم القبائل ، فاخذ أصحاب رسول الله سيوفهم وقاتلوا أعداءهم دون أنْ يُضعفهم عدد عدوهم ، فثبتوا وصدقوا في قتالهم الأعداء حتى استشهدوا جميعا إلا كعب بن زيد [4] فإنَّهم تركوه . ولم يكن الشعر بعيداً عن هؤلاء الشهداء فهذا حسان بن ثابت ينقل الحالة التي كان عليها أمير الوفد المنذر بن عمرو ، فعندما خيروه بين الكفر والموت ما ساوم في دينه بل ثبت على عقيدته وقاتل الأعداء بصدق حتى نال الشهادة ، قال حسان[5] :

صَلَّى الإِلهُ عَلَى ابْنِ عَمْرٍو إِنَّه ... صَدَقَ اللِّقَاءَ وَصِدقُ ذلكَ أَوْفَقُ
قَالُوا لَهُ أَمْرَين فَاخْتَرَ فِيهِما ... فَاخْتَارَ فِي الرَّأْيِ الذِي هُو أَرْفَقُ

(١) سلجح: مرهف . ينظر: اللسان: ٢٠٦/٣ (سلج) .
(٢) ديوانه : ٤٥١ – ٤٥٢ .
(٣) هو منذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان ..بن ثعلبة بن احرورح الأنصاري الساعدي المعروف بالمعنق للموت، قتل يوم معونة شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٤٤٩/٤ ، وأسد الغابة: ٢٦٩/٥ – ٢٧٠ ، والإصابة: ١٣٩/٦ – ١٤٠ .
(٤) هو كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة ... الأنصاري ، شهد بدرا ونجا من يوم معونة وقتل يوم الخندق شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٣١٧/٣ .
(٥) ديوانه: ٤٩٧ .

ونقل لنا عبد الله بن رواحة مشهداً من صدق أولئك الصحابة ، فنافع بن بديل [1] كان من ضمن هذا الوفد فلم يجزع يومئذ ، بل صبر وصدق في قتاله الأعداء حتى نال الشهادة ، فقال عبد الله بن رواحة موثقا ذلك الصدق [2] :

رَحِمَ اللهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ ... رَحْمَةَ المُبْتَغِي ثَوَابَ الجِهَادِ
صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِيٌّ إِذَا مَا ... أَكْثَرَ القَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّدَادِ

ومن شهداء المسلمين الذين اتصفوا بهذه السجية سعد بن معاذ ، فهذا المجاهد قد صدق مع الله تعالى حين أصدر حكمه في بني قريظة ، فوافق حكمه حكم الله تعالى ، وعندما استشهد هنّأه حسان بن ثابت بهذا الفوز ، فهو مصير الصادقين مع الله تعالى ، فنعم هذا المصير ، فقال [3]:

فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا ... إِلَى اللهِ يَوماً لِلوَجَاهَةِ والقَصْدِ

أمّا خلفاء المسلمين فهم أصدق الناس فبهم عُرِفَ الصدق ،فقد اتصفوا بهذا الخلق العظيم ، وأمروا رعيتهم الاتصاف به ، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يمر بعجوز تبيع اللبن ، فقال لها: يا عجوز لا تغشي المسلمين ولا تشوبي لبنك بالماء ، فقالت له: نعم يا أمير المؤمنين ، لكنها لم تصدق معه ، فلما عُلِمَ بها الفاروق جاء إليها وقال لها: ألم أعهد إليك أنْ لا تشوبي لبنك بالماء ؟ فقالت كاذبةً: والله ما فعلت يا أمير المؤمنين ، عندها تكلمت البنت الصادقة من داخل الخباء فقالت: يا أماه ، أغشّاً وَحِنثاً جمعت على نفسك ؟ فلما سمع الفاروق مقالتها هذه أُعجب بها وقال لأولاده: أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أنْ يخرج منها نسمة طيبة ، فقال ابنه عاصم: أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه، فأولدها أم عاصم فزوجها عبد العزيز بن مروان ، فأولدها عمر بن عبد العزيز [4] ، فنحن نرى كيف كان الفاروق حريصا على أنْ يقترن أحد أبنائه بهذه المرأة الصادقة التي خرج من نسلها رجل صادق يشار إليه بالبنان ، وهو عمر بن عبد العزيز الذي

---

(١) هو نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، كان هو وأبوه واخوته من فضلاء الصحابة وجلتهم ، قتل يوم بئر معونة شهيدا . ينظر: الاستيعاب: ١٤٠٩/٤ ، وأسد الغابة: ٢٩٩/٥ ، والإصابة: ٢٤/٦ .

(٢) ديوانه: ٩٢ – ٩٣ .

(٣) ديوانه: ٤١٥ .

(٤) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٣٨/٣ .

رعت في زمنه الشاة مع الذئب ، وعندما استشهد الفاروق رضي الله عنه تأثر المسلمون لفقده ، فأشادوا بأخلاقه الحميدة فكان الصدق من أهم هذه السجايا ، فهذه زوجه عاتكة بنت زيد تقول إنَّه إذا ما قال صدق القول فعله [1]:

مَتَى مَا يُقُل لا يكذب القول فعلُهُ سَرِيع إلى الخَيراتِ غَير قَطُوبِ

٧. الوفاء

من أخلاق العرب الفاضلة في مجتمع خلا من الضمانات المسجلة والوثائق المدونة ، فكان الضمان المسجل والوثيقة المدونة الكلمة ينطقها الرجل عهدا يلتزم به ، ويجب عليه أنْ يفيء به ، وإلاَّ عرَّض شرفه للتجريح [2] ، (فالوفاء من شيم النفوس الشريفة ، والأخلاق الكريمة ، والخلال الحميدة ، يعظم صاحبه في العيون ، وتصدق فيه خطرات الظنون ، ويقال : الوعد وجه ، والإنجاز محاسنه ، والوعد سحابة ، والإنجاز مطره)[3].

وقد حث المولى عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم المسلمين على الاتصاف بهذا الخلق فقال تعالى : ﴿ وَأَوفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ [4] وقال الرسول الكريم ﷺ " آية المنافق ثلاث: إِذَا حدَّثَ كذب ، وإِذَا وعد أَخلف ، وإذا أُؤتمن خان " [5] . فشهداء المسلمين يوم بدر الكبرى قد وفوا عهدهم مع رسول الله ﷺ إذ جاهدوا معه الأعداء وهم قلة يومئذ ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه حتى نالوا الشهادة ، فهذا حسان بن ثابت يبين لنا هذا الوفاء فيقول [6] :

وَفَوا يَومَ بَدْرٍ الرسُولَ وَفَوقَهُم ظِلالُ المَنَايَا والسُّيُوفُ اللَّوامعُ

---

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٦ .

(٢) يُنظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٣٥٦ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢٠٦/١ .

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٤ .

(٥) صحيح البخاري: ٢١/١ .

(٦) ديوانه: ٢٦٧ .

كذلك فقد اتصف ثاني قادة مؤتة جعفر بن أبي طالب ﷺ بهذه السجية النبيلـــة ، إذ وفّى عهده لله تعالى حينما حمل راية المسلمين وقاتل بها الأعداء حتى نال الشهادة ، فلـــم يكن هذا الوفاء بمنأى عن شاعر المسلمين حسان بن ثابت ، فقال[1]

وَكُنَّا نَرَىٰ فِي جَعْفَرٍ مِن مُحَمَّدٍ ... وَفَاءً وأَمْراً حَازِماً حِيْنَ يَأْمُرُ

(١) ديوانه : ٩٨ .

obeikandl.com